الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1154
2023/8/8

ملف العدد

الفساد الثقافي
ظاهرة أم تهاون؟

أول الكلام

ركوب الموجة ..

▪ ديب علي حسن

كان ذلك منتصف ثمانينات القرن الماضي حين ألح أحد المهتمين بالشأن الثقافي أن أكون معه في جلسة احتفالية بأحد زملائه وقد أصدر مجموعة شعرية..

ضمت الجلسة مجموعة من العاملين والمهتمين في هذا الأمر....لم يتركوا شيئاً جيداً إلا وأسبغوه على المجموعة ..فهي إنجاز عظيم في المشهد الشعري حسب ما قالوا ...

في طريق العودة وكان المحتفى به قد غادر.ألقى أحدهم بالمجموعة من نافذة السيارة وبدأ موشح السلب ..ما الذي تغير ماذا حدث ..من نصف ساعة كانت معلقات المديح ...

ترى بعد هذه الفترة الزمنية هل تغير المشهد أم ازداد سوءاً مع فورة الشائكة..وازدهار مواقع النشر وألقاب لا أحد يعرف من أين أتت ناهيك بما يقوم به الإعلام الثقافي من دور ترويجي سلبي ..

إنه مشهد واحد من مشاهد الفساد الثقافي فكيف بركام لا أحد يعرف أين يبدأ وينتهي ..

الفساد يبدأ فكرة وينتهي ممارسة وأخطره فساد ملح الفكر الثقافة التي يجب أن تكون الحصن الحصين.

هل غدت الثقافة تجارة؟

الهجرة في الإبداع الروائي

نقش سوري

هيرتا ميلر روائية المحرومين

الثقافة في أسبوع

معرض

آية الحاج ومعرض في رومانيا

تميزت الفنانة التشكيلية السورية الشابة آية الحاج بمشاركتها في معرض لوحات معاصرة بعنوان «الروحانيات الأنثوية»، وذلك ضمن مهرجان الثقافة العربي المقام في الجمهورية الرومانية، الذي ينظمه المركز الثقافي العربي في مدينة (سيبيبو).

وعرضت آية أعمالها في أول مشاركة لها في رومانيا من خلال معرضها التشكيلي الذي يتناول موضوعات المرأة عموماً، وتمكنت من تصوير المرأة السورية بأسلوب معاصر، فكانت المشاركة الوحيدة في هذا النوع من الفن إلى جانب مشاركين قدموا فنوناً أخرى.

واستطاعت الفنانة السورية أن تلفت الأنظار بأعمالها المنبثقة من روح الثقافة العربية والتي تغوص برموزها المكثفة، معتمدةً المزج بين الفن التجريدي والخط العربي.

وفي تصريح لها قالت تطرقت آية إلى أن لوحة «انجذاب» كان لها الحضور الأبرز والأشد تأثيراً، نظراً لما تمثله من فكرة غائرة في العمق، ولما استخدمته من أدوات جعلت منها محط إعجاب الحضور، إذ ترمز اللوحة إلى المرأة العربية.

وقالت: «من هنا ولدت فكرة هذه اللوحة التي يشرق الخط العربي على جانبها الأيمن، ويبدو معتماً في الجانب الآخر، لتكون الألوان المختلفة في اللوحة رمزاً لتنور الحضارات والثقافات والأديان على الصعد كافة».

واستلهمت ابنة مدينة حلب الفكرة من خلال محاضرة في الجامعة تقدم شرحاً عن العمارة الإسلامية، وعملت على تعزيز المعرفة بالثقافة والعمارة العربية عامة والسورية خاصة، وكرست دراستها في الماجستير في ذلك لتوصل بأسلوبها فكرة تنوع الثقافات التي تمتلكها المرأة العربية والسورية.

وترى ابنة السابعة والعشرين عاماً أن الفن التجريدي يتجلى ليظهر ملامح المرأة في بنائية تشكيلية تتبلور فيها الروحانية الأنثوية، وتتضافر عناصر الإبداع كلها في إبلاغ رسالة حرصت الفنانة على إيصالها، ومفادها «تنوع الثقافات في الوطن العربي».

ويعد المعرض الفني لآية الذي احتضنه متحف «بروكينتال» علامة فارقة بالنسبة لها، حيث يهدف المهرجان بشكل أساسي إلى تعزيز أواصر التعاون والتواصل بين مختلف ثقافات العالم وحضاراته، ويشكل حشداً لمجموعة من الفنون العربية المختلفة، كورشة الحناء، وورشة الخط العربي، والإيقاعات الشرقية.

يذكر أن التشكيلية آية الحاج درست الهندسة الداخلية، وفي عام ٢٠١٥ حصلت على منحة دراسية في لبنان سهلت لها دراسة الهندسة الفنية، وتخرجت عام ٢٠٢٠ من الجامعة اللبنانية الدولية بمرتبة شرف، وفي عام ٢٠٢١ حصلت على منحة من الحكومة الرومانية وبدأت دراسة الماجستير في الهندسة بمجال العمارة الداخلية والعمران الفني.

إصدار

الإرث الثقافي السوري في تاريخ تدمر

«الإرث الثقافي السوري الوجيز في تاريخ تدمر السورية أجمل مدن التراث العالمي»، كتاب جديد للباحث الدكتور محمود أحمد السيد يوثق أهمية التراث والآثار والثقافة، مستشهداً بمكانة تدمر التاريخية ودورها الثقافي.

ويرى الباحث السيد في كتابه أن التراث الثقافي أحد أهم المصادر التراثية العالمية المعتمدة في تاريخ الحدث وتدوين أحداث الماضي وفهم المراحل التي مر بها تطور الحضارة الإنسانية وكيفية الانتقال من مرحلة الجمع والصيد والسكن في الكهوف والمغاور إلى مرحلة الزراعة والاستقرار والتدجين وتطور كل أنواع الحياة.

وأشار السيد في كتابه إلى أن أهمية التراث الأثري السوري لا تقاس فقط بقيمته التاريخية والأثرية عالمياً، بل بتوثيق الحضارة السورية والمراحل التي تطورت ومرت بها الحضارة الإنسانية عبر التاريخ.

وتمتلك سورية حسب بحث السيد عدداً كبيراً من المعالم الثقافية العظيمة، وتدمر هي جوهرة خاصة في وفرة المعالم الثقافية العظيمة وهي من أبرز آثار العالم وذات تاريخ غني ومتطور.

كما يسلط السيد الضوء على مفهوم التراث الثقافي والعمراني والأثر التاريخي والثقافي السوري والأضرار التي طالت مواقع التراث في تدمر وغيرها.

ويتحدث البحث عن أهم المراحل المفصلية في تاريخ مدينة تدمر وضرورة تضافر الجهود لإعادة النبض والحياة بسبب ما حصل لها وترميم ما خرب ونهب وسرق.

ويرى ناشر الكتاب الأديب علام عبد الهادي أن ما حصل عليه المؤلف من شهادات علمية ومعارف جعلته يتمكن من العمل المباشر محلياً وعالمياً في مجال الإرث الثقافي وتوثيقه وأرشفته ومتابعة الاكتشافات الأثرية للاستفادة من معطياتها.

وبين رئيس المركز الثقافي في أبو رمانة عمار بقلة ضرورة الاهتمام بهذه الدراسات وما تحتويه، وتسليط الضوء عليها في الأنشطة الثقافية لأنها تشكل رصداً لحقيقة سورية الحضارية في وقت التآمر عليها وعلى ثقافتها.

وفي مقدمته رأى الباحث الدكتور مهدي دخل الله أنه بحث موثق ومنهجي في ثقافة وتاريخ تدمر وإرثها الحضاري وتاريخ سورية وما يميز حضارتها في العالم والتاريخ.

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

أحمد بوبس
ايمن المراد
بديع صقور
دلال ابراهيم
رجاء شعبان
رجاء علي
رفاه الدروبي
رنا بدري سلوم
فاتن دعبول
علي حبيب
ليلى مصطفى
مها محمد
ندى يوسف

هل غدت الثقافة تجارة؟

رنا بدري سلوم

«الثقافة أن تعرف نفسك، أن تعرف الناس، أن تعرف الأشياء والعلاقات ونتيجة لذلك ستُحسن التصرف فيما يلم بك من أطوار الحياة « هكذا عرّف الأديب نجيب محفوظ الثقافة، فكيف إن دخل الفساد دهاليزها، فتشوهنا وبتنا لا نعرف وجوهنا، وملامحنا ومن نحن؟!، علاقات ثقافية تشوبها المصالح الشخصيّة والربحيّة، فلم يستطع المشهد الثقافي أن يعيش بمنأى عن الفساد المتفشي نتيجة انهيار الأخلاقيات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع حاجات الإنسان الأساسية، من أمن ومأكل وعيش كريم، ومع ذلك لا نبرر الفساد نتيجة لسلوكيات بعض الأشخاص غير السويّة، بحجة الإبداع بحجة حريّة الرأي، فوفقاً للمفكر الإنكليزي توماس بين «حين يطرقُ الرّقيُ باب أمّة من الأمم، يسألُ: أهنا فكرٌ حُرٌ؟ فإنْ وجده دخل ...وإلا مضى» فعن أي رُقيّ نتحدث ونحن عبيد متطلبات حياتنا اليومية محكومين بواقعنا، نعاني الانفصام، نحلم ولا نملك من تحقيق الحلم شيئاً، نريد أن نكتسب صفة المثقّف بيوم وليلة، ونتربّع على كرسي المسؤولية، ساعين لها بالفساد والرشوة، للحصول على الربح المادي الذي نحن اليوم بأمس الحاجة إليه، وسط هذا الغرق الاقتصادي الذي نعيشه، إذاً نحن نبحر في وسط يبرّر للفاسد فعلته مع كل الأسف.

الثقافة للجميع

الفساد لا ينشأ من مصلحة فرد وحسب بل هو خلق بيئة تربط كل فاسد تطفو مصلحته الذاتية على الصالح العام يتوارثه مؤسسوها، ومن هنا ترسل المؤسسة الثقافية التي تشجّع على خلق هذه البيئة رسالة ثقافيّة غير سويّة موجهة تخدم أشخاصاً بعينهم تحقيقاً لمآرب ما، فيبدأ التلف من شيوع ظاهرة التوتّر والقلق وضعف الولاء الوظيفي والانتماء للمؤسسة، فتنخفض الروح المعنويّة لدى الأفراد، ليكون الخلل الإداري سبباً رئيسياً في ضعف أو انعدام المحاسبية والمساءلة عن الأخطاء والتجاوزات، وعلى سبيل الذكر وليس الحصر، ألا يوجد في المشهد الثقافي بعضاً من المراكز الثقافية تلفظ أنفاسها الأخيرة على مرأى الجميع من شدّة الترهّل بحجة أن الحرب مرت من هنا ولا دافع مادي يحيها، يسود النمطيّة في العمل الروتيني الشكل على حساب الجهد الإبداعي والابتكار، فيخلق في هذه البيئة موظفين لديهم سلوك انطوائي وتحوصل وظيفي ومؤسسي، تجمع اختصاصات غير مؤهّلة تستحوذ هذا الصرح، لتصبح حكراً لهؤلاء الذين جلّ همهم الحصول على راتبٍ شهريّ، دون تقديم أي منفعة ثقافيّة لروّاد هذه الأماكن التي يفترض أن تستغل كل استغلال في مراحل فصليّة سنويّة محددة!؛ لماذا لا يتم استغلال فصل الصيف مثلاً في استقطاب الأطفال الصغار وتفتح المراكز الثقافيّة لهم مسرحها وقاعاتها ومكتبتها لتشجيع القراءة والكتابة والفن وإعلان دورات تدريبيّة للفنون عامة بالاستعانة بالكوادر التعليميّة الفنيّة المناسبة، وبالتالي خلق جيل مثقّف وقارىء لديه ذائقة فنيّة وبصريّة تنهض به وبمجتمعه فيما بعد أسوة بالنوادي الرياضيّة وغيرها!!!، إذاً ما يعيق تلك الرسائل الثقافيّة إدارة فاشلة وفاسدة جلّ همّها جمع المال كإبرام عقود عمل وهميّة لا أساس لها، وغيرها من تفاصيل يصعب حصرها في هذا المقال كي لا نغرق في التفاصيل، فعندما يبدأ الخلل في جزء من الثقافة يتسرّب هذا الخلل إلى جوانب ثقافية أخرى فتتأثر السلوكيّات والممارسات بين أفراد المجتمع، وقد يودي شيوع الفساد وانتشاره إلى قتل حضارة وثقافة الأمّة بدءاً من المنشورات الثقافية مروراً إلى الإعلام الثقافي وصولاً إلى تلك المراكز الثقافي آنفة الذكر.

نفاق ثقافي

الشهادات الفخريّة التي تنهال من كل حدب وصوب، تنشىء كوادر ثقافيّة لها سيطها في المجتمع وأثرها أيضاً، لسنا ضد تلك الشهادات بقدر ما نحن حريصون على وجودها على أرض الواقع في تقديم رسالة ثقافية وفنية واجتماعية توعوية مهمة لها جمهورها ولها معجبوها، ولكن ما يؤسف بالأمر تحكم لسان المال والعلاقات الطيبة أم المشبوهة تلك الشهادات الفخرية التي تتعدى حدود البلد المانح، فمن يملك هذه المنشأة الثقافية والإبداعية يستطيع أن يوزع الشهادات الفخريّة والجوائز الأدبيّة على من يرفع له القبّعة فيعد عنه تقريراً صحفياً أو تلفزيونياً أو حتى دعماً على صفحته الشخصيّة، لست آسفة أنني لم أحصل على أي من تلك الشهادات ولكني آسف على أننا ننضم عنوة إلى المجموعات الثقافيّة التي يضيفنا إليها صديق صدوق يعلم تماماً كيف ننظر للثقافة، فنضع له إشارة الإعجاب والمباركة خجلاً ونشعر أننا مشاركون في هذا النفاق الثقافي الذي نعيشه عنوة عنا، فها أنا أعترف.

طلاء ثقافي

المثقّف هو من اجتهد ليثبت نفسه ويظهر إنسانيّة الإنسان فيه، خضع لأمر اقرأ من ثم استطاع أن يصطفي نفسه عن الآخرين بالوعي والحكمة والمعرفة والاعتراف، وأهم ما يمكن أن يتّصف به هو التواضع واحترام الآخر وتقبّل الاختلاف بكل ما فيه، إنها دلالات تظهر في تعامله مع المجتمع والاحتكاك مع الآخر، أمّا اليوم هناك ثلة من المثقّفين وما أكثرهم، يتباهون بمطبوعاتهم
سطحيّة المضمون إن أجدت التعبير،تتصدّر المكاتب العربيّة، وفي المقابل مثقّف لم يخرج يوماً على
منبر أو حتى لم يره جمهور، لم يستق أبجديّته من وجع الناس ولسان حالهم، وسأستعين بما كتبه الأديب نجيب محفوظ في كتابه «المرايا» وهو خير دليل على مجموعة من المثقفين الذين
«وحُكي لي، كيف انقسم ولا يزال بين التجارة وبين الأدب، وكيف استطاع أن يشق طريقه العسير ويحقق موهبته باستغلال كل دقيقة من وقت فراغه القليل، وترك حديثه والأحاديث التالية على مر الأيّام انطباعاً في نفسي لا يمكن أن يوصف بالثقة، كان الرجل عادي الذكاء أقرب إلى السطحيّة ذا طلاء ثقافي ولكن بلا أعماق، ومن هذا ومن قراءتي السابقة لبعض رواياته ملت إلى تصديق ما يقال في مجالس الفكر، قالوا إنه أنفق أعوامه في مجال التجارة واللهو والعبث باسم اكتساب التجارب الحيّة ومعرفة الإنسان، وشهدوا له بالمهارة في تجاربه مما عاد عليه بثروة طائلة، تزداد مع الأيام ضخامة، وهو في نظر الجميع محب للفن وربما للشهرة أكثر ولكن بلا موهبة يعتد بها مما دفعه إلى طريق مملوء بالمتاعب، فقد صمم على أن يكون أديباً وأن يكمل ما ينقصه من موهبة بماله، وكان يكتب تجاربه، ثم يعرضها على المقربين من الأدباء والنقّاد، ويجري تعديلات جوهريّة مستوحاة من إرشاداتهم، بل يقبل أن يكتب له بعضهم فصولاً كاملة، ثم يدفع بالعمل إلى أهل الثقة منهم في اللغة لتهذيب الأسلوب وتصحيحه، غامراً كل صاحب فضل بالهدايا والنقود تبعاً للظروف والأحوال، ويطبع الرواية على حسابه طبعة أنيقة فتخرج من المطبعة -على حد قول بعضهم- كالعروس، ومن ثم يوجه عنايته إلى بعض النقاد فيملأ نقدها أنهار الصفحات الأدبية، وينفق أضعاف ذلك على ترجمتها حتى فرض نفسه على الحياة الأدبية، وبنفس الأسلوب شق سبيله إلى الإذاعة والتلفزيون دون اهتمام بربح مليم واحد، بل ويضيف إلى ذلك من ماله إذا لزم الأمر، كان يحتقر بيئة التجّار وهي مصدر جاهه وثرائه وهو فيها كوكب محترم ، ويغرس نفسه غرساً شيطانياً في بيئة الفن وهي تأباه وهو فيها غريب محتقر».

كيف يمكن مواجهة الفساد الثقافي وما دور المثقفين؟

رفاه الدروبي

هل الفساد الثقافي موجود في مؤسساتنا الثقافية، وكيف يمكن مواجهته، والعمل على التخلص منه بطرق عقلانية مدروسة؛ بينما تشهد الحياة الراهنة مرحلة انعطاف في دور المثقّفين والثقافة.

فاتحة الحديث لابدّ من تعريف الفساد ويعني في اللغة نقيض الصّلاح، وخروج الشّيء عن الاعتدال، قليلاً أو كثيراً، ويقال فسدت الأمور أي اضطربت، وفسد العقد أصبح باطلاً.

طرق «الملحق الثقافي» باب كتّاب وأدباء كي تنثر أقلامهم ما يدور في خلدهم وتحطُّ رحالها على الورق وتفندها.

نتاج مجتمع

الدكتور وليد العرفي أشار أنّ الفساد وباء لا يقتصر انتشار فيروسه في مجتمع ما على فئة محددة، والمثقف في النهاية نتاج مجتمع وبيئة وكلما كانت تربته غير صالحة أسهمت في خلق جو ثقافي فاسد بالضرورة.. وتتجلى ملامحه بشكل باهت أحياناً وفاقع في أحايين أخرى، ويكون محكوماً بظروف أنتجت ولا تختلف في كثير من إشكالاتها عن بقية مظاهر الفساد المستشري في مجتمعاتنا يوماً بعد يوم وبشكل أكثر وقاحة وقباحة.

وطالما أنّ المؤسسات الثقافية محكومة بنمط محدد مسبق فلا يمكن لها أن تتجاوز ذاتها بهدف خلق جو ثقافي نقي بحكم الهوى والميل وكلاهما من طبيعة النفس البشرية لايمكن لها أن تتصف بالموضوعية والحيادية إلا عند القلة القليلة، وغالباً ماتهمش في واقع العمل الثقافي بينما يكبر الطفيلي والمتعربش على حساب الآخرين؛ والتخلص منه يكون في معالجة أسبابه بإعطاء المبدع الحقيقي دوراً يمكنه من تحقيق ذاته ببلوغ مكانة يستحقها من الشهرة والانتشار في الوسائل المعنية بالثقافة.

ظاهرة عالمية

ورأى رئيس فرع طرطوس لاتحاد الكتاب العرب منذر يحيى عيسى أنّ الفساد ظاهرة عالمية استطالت حتى لامست جميع جوانب الحياة، ولم تسلم منها الحياة الثقافية.. ويبدو أنّ مظاهره تبدو بالشللية ما تنعكس على الثقافة بحيث يتمُّ التركيز على ما ينجزه أفراد الشلّة ويؤدي للهجوم على إبداعات الآخرين وتهميشها.

كما أنّ انتشار المنتديات والملتقيات أدّى إلى تعويم كتابات لاتمتُّ للأدب بصلة وإبراز أسماء طارئة عليه، إضافة إلى محاولة ترويج أفكار لامنتمية إلى وطننا عند الجيل الشاب، وبالتالي لابدّ من وضع ضوابط للسماح بنشاطات المنتديات والإشارة إلى الإساءة للغة الفصحى.

كما لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورها وكانت من الأدوات المساهمة في الفساد الثقافي لاستسهال النشر، وسرعة الانتشار. فوزعت شهادات دكتوراة لاقيمة علمية أو فكرية لها؛ تعتبر من مظاهر الفساد الثقافي.

بينما تبقى وزارة الثقافة والجهات التابعة لها المسؤولة مباشرة عن محاربة مظاهر الفساد.. ويقف اتحاد الكتاب العرب كمؤسسة ثقافية حصناً منيعاً في تبنيه للإبداع الحقيقي ونشره، والمنابر تصرُّ على أهمّية اللغة العربية في كل ما ينشر ويلقى، من خلال المعرفة بآلية العمل في الاتحاد.. إضافة إلى تبني المواهب الشابة ورعايتها، وخضوع منشورات الاتحاد إلى مراحل عديدة حتى يتمّ النشر.. إجمالاً الفساد الثقافي ظاهرة قائمة ومحاربتها مسؤولية الجهات المختصة الرسمية.

وأصبحت السرقات الأدبية والفكرية ظاهرة حقيقية في الوسط الثقافي ويعتبر سطواً موصوفاً على إبداع الآخرين وحقوقهم، كما سهّل الفضاء الأزرق سرعة اكتشاف السرقات وتوصيفها.. وكثيراً مانجد الحالة ذاتها عند من يتقنون لغة أجنبية بحيث يترجمون نصوصاً عن لغة أخرى مع بعض التحوير وينسبونها لأنفسهم، وفي السياق ذاته أشير إلى اختلافه عن ظاهرة التناص من القرآن والسنة، أو من الأسطورة؛ وأمر نفسه مشروع ومعترف به.

إضافة إلى تمرير بعض الأفكار المغرضة الهدامة وتهدف إلى تدمير المجتمع، وتخريب بنية الأسرة وقيمها، تحت مسمى الليبرالية الجديدة وتؤدي إلى نشر الانحلال الأخلاقي، ما يسهل تفكيك المجتمعات وتسهيل السيطرة عليها.. كما أشير إلى حرب المصطلحات وتفعل فعلها التخريبي في الثقافة والسياسة؛ والغاية تفكيك الدول والمجتمعات.. والفساد الثقافي والفكري ساهم في الوصول إلى تحقيق مخططات عالمية كان للصهيونية العالمية الدور الفاعل فيها، إضافة إلى العمل على تقديم الأفكار والقيم النبيلة للأجيال الشابة كونها تُشكّل الوسيلة المناسبة لمقاومة الفساد الثقافي.

التشاركية والكشف عن الخلل

ثم بين الشاعر حسام المقداد أنّ المؤسسة الثقافية شأنها شأن دوائر المجتمع الأخرى سواء أكانت حكومية أم غير حكومية تعاني من الفساد ليظهر عجز الفعل الثقافي عن أداء الدور المتوقع منه في كشف المستور وصنع الفارق للوصول إلى مرحلة من النقاء.. ويظهر الفساد الثقافي في الشللية والمحسوبية سواء في النشر أو في مهرجانات كبرى يدعى لها أحياناً من لايحسنون صنع الدهشة والتأثير، وعجز المراكز الثقافية عن تقديم الجيد وخلطها بين المبدع والمدعي عند التقديم على المنابر، وإطلاق المبدعين للحراك الثقافي، وانكفاء البعض منهم ما يسمح بظهور مدعي الثقافة، واتساع المجال لهم، وعدم احترام المؤسسة الرسمية للإبداع.

والمبدع ورعايته وتسليط الضوء عليه، وتقديم بعض البرامج المسموعة أو المرئية لفئة لاتمت للأدب والثقافة بصلة.. وغياب الصحافة الورقية حيث كانت مصدراً من مصادر المعرفة وشروط النشر أو العضوية في المؤسسات الرسمية وتشترط موافقة قارئين أو ثلاثة ممن لايمتلكون المعرفة أحياناً أو من يقيسون العمل وينظرون للمثقف تبعاً لذاتيتهم أو لأحقاد شخصية دفينة تبدو انعكاساً لقصور فكرهم أو رغبة في التغييب لتغدو الساحة فارغة لهم ولأمثالهم.

وإن الخلاص من الفساد يكون في مؤتمرات تسمح بالرأي، وكشف الخلل، والتشاركية بين القطاعات المختلفة، وتطبيق معايير الجودة في المنشور والمسموع والمرئي، وبحث المؤسسة الرسمية عن الأجدر واستبعاد المدعين، بهدف كشف المفسدين والإشادة بالأكثر صدقاً.

وقبل كل ما ذكرناه لابدّ من السعي الدائم لاستقطاب الخبرات الكفوءة وتشجيعها مع الإشارة الجدية للخلل فالأضرار الناتجة عن الفساد الثقافي أكبر وأخطر وأعظم بكثير من أنواع الفساد الأخرى؛ لأنه نوع خفيٌ لايمكن اكتشافه بسهولة، إذ إنّ تأثيره مستقبلي وبطيء، ولأنّه يتصل بعقول تبني الوطن وتسهم في ارتقائه العلمي والحضاري.

بؤرة للبطالة

القاص سامر منصور لفت بأنّ المؤسسات الثقافية أصبحت تشكل بؤرة للبطالة المقنعة في دول العالم الثالث وبلدنا ليست باستثناء، حيث لا تتمتع المؤسسات بفعالية حقيقية وبالتالي يوجد أعداد كبيرة من الأيدي العاملة بالكاد يعملون شيئاً ونقلوا من وزاراتهم إلى وزارة الثقافة خصيصاً كي يخلدو للراحة وأعباء الالتزام بالعمل الوظيفي والحضور اليومي!!

إنّ مجرد تركيز أيّ وزارة ثقافة عربية على الأنشطة الترفيهية والإنفاق بزخم عليها عوضاً عن مراعاة التوازن بينها وبين الأنشطة المحتضنة وترعى وتنمي الفنون الرسولية، يعدُّ برأيه فساداً نابعاً عن الانحياز إلى الطبقة المخملية المرتادة لدور الأوبرا وقصور الثقافة لتتابع الأنشطة الترفيهية الموسيقية والغنائية على وجه الخصوص.

إنّ الفساد الثقافي يتجلى منذ دخول أيّ مواطن عربي إلى مواقع وزارات الثقافة حيث لاتحتوي على بيانات أو خلاصات لمؤتمرات فكرية أو علمية تجسد الصيرورة المعرفية أو الإبداعية لدى مجتمعه.. إنّ الفساد بلغ مبلغاً لا تتمّ مراقبة بعض الأشخاص وإصدار كتب تتنافى تماماً مع دور وزارة الثقافة، كترويج الإباحة أو الإساءة إلى الشعوب وبث الفتنة واعتبرها شكلاً من أشكال الفساد ولايمكن مكافحته ما لم يتم إنهاء سطوة المتنفذين عموماً في البلاد وفي كل المجالات، والحل يكون التعاطي بموضوعية مع المنتج الثقافي.

يخلخل الثوابت

رجاء شعبان

إن كان الفساد انحرافاً أو تدميراً النزاهة في أداء الوظائف العامة من خلال الرشوة والمحاباة أو التلف إذا ارتبط بسلعة، فهو بذرة تآكلت في مهدها ونمت على اهتراء ومسخ وحالة سلبية مفسدة لما حولها كما هي فاسدة.

لكلّ نقيضه في الحياة، مبدأ يدفع بوتيرة الحياة ذاتها ولو كان إلى التلف أو الموت، فإن كان الموت نقيض الحياة فهو دافعها كذلك لملء فراغها وتعويض موتها، هذا في الحالة الطبيعية للحياة... إذ لا يوجد سلبية بالمطلق، لكن الفساد هو الحالة غير الطبيعية للحياة التي يصيبها خلل أو أذى فتؤدي إلى نتيجة فيها خسران وأذى من بعد الفوضى تؤدي بدورها إلى العفن فالتلف وعلى الاغلب فالعدم.

لن نتوسّع وندخل في سجالات فلسفية ليس معروفاً أولها من آخرها.. ولكن هنا سنتطرّق إلى ثمرة أخرى من ثمرات التواجد أو الوجود الإنساني ألا وهو الفساد الثقافي، فالفساد الثقافي بالمفهوم العام عرف على أنه أحد أنواع الفساد يصيب الثوابت العامة لدى المجتمع فيتغلغل إلى الهوية والموروثات تحت مدّعى حرية الرأي أو حجة الإبداع وذلك عبر وسائل من ضمنها مناهج التعليم.

وهنا نقول لو فسدت سلعة يمكن التعويض عنها أما لو فسد إنسان فلا يمكن تعويضه؛ كما أن الفساد بحد ذاته يحوّل الإنسان هذا المخلوق العظيم إلى أداة وسلعة ويضع له قيماً جديدة تؤدي إلى نهايته تحت عنوان أو بند تطوّره وسعادته!

فما الفساد بحق؟ هو تحويل الإنسان العاقل إلى فاسق يضع من عنده قوانين خاصة به تخدم أنانيّته وانتهازيّته دون اعتبار الآخر متناسياً القوانين الإلهية أو الشرعية أو الأخلاقية العامة، كيف لا وقد زيّنت له نفسه وسوّلت له نفس المجتمع أنها طبيعيّة ومباحة ومتاحة لصالحه وصالح مجتمعه! طبعاً الفساد لن يأتي فاجراً داعراً فجّاً مباشراً كالصاعقة، ربّما يتحوّل فيما بعد إلى ذلك ولكنّه في البداية سيأتي متسلّلاً ناعماً داعماً ذا لحية بيضاء متسامحة تريد الخير للجميع..! لكن ما إن يتمكّن ويغدو له مريدون وطلاب وعشّاق وأتباع وجماعات وصفوف وأسلحة وجيوش حتى يعلن عن حاله أنّه غدا القائد العام شاء مَن شاء وأبى مَن أبى، وهنا يخطر ببالنا سؤال... هل هو عفويّاً؟ هل له تسلسل منطقي زمني طبيعي أم فكر عابر محتل غاشم منتهك عقول وأقوام عن سابق إصرار وترصّد؟ قد يأتي بهيئة الاثنين معاً وهنا يقع فريسته الإنسان الطيّب ويقطف ثماره الخبيث، وهل للفساد رقيب أو حسيب؟ لا أبداً طالما تمّ بيع الضمير أو التخلّي عنه أو إسكاته أو تخديره وتنويمه وتمويته! لماذا؟ أملاً بحياة ماديّة أفضل! لكنّه هو معنوي! بل وانعكساته ماديّة عدا عن جوهره المعنوي!

إذاً هو فكرة تُطبّق عن سابق إصرار من جهة بغية التخريب، فهو أحد أنواع الحروب ضد الإنسان السويّ الإنسان الفطري الأخلاقي الإلهي المبدع! من وراءه؟ وراء سلطان الطمع والتمرّد والتخريب والاستغلال.. نتيجته وباء للجميع.

فالفساد كالهواء متى ما انتشر ضرب وأحاط بالجوانب كلّها فإن كان في المجتمع ضرب الأخلاق والقيم والقيادة والإدارة والقضاء والمال والعائلة والمؤسسات وو... فأرهق المجتمع وهركله وتركه جثة تنخر فيه الحشرات ومكان لتجميع القمامة والنفور...» هكذا تُهجّر الأوطان»

الفساد يؤدي بالحياة إلى القبر فتغدو المجالس كلّها عزاء والأحداث جرائم والأيام حساب وعقاب ومعنى الوجود عبثي قاتم... الفساد هو الثقافة السوداء للإنسان يتغلغل به تغلغل الداء ويجري به إلى الفناء... فلا إله ولا وجود ولا أخلاق ولا هدف ولا جدوى... يغدو الدين الإلحاد والقيم منحرفة تودي إلى العقم وانعدام الطعم واللون والذوق... يبدأ الفساد بالأخلاق: «إنّما الأمم الأخلاق ما بقيت... فإن ذهبت أخلاقهم ذهبوا»

ويمتدّ إلى الأفكار والقناعات... ينفخ في العقول القيم والمعارف المزيّفة، ينعكس على التعليم من خلال التربية... فإن لم يكن مصدراً صحيحاً غدت التربية وسيلة وسلوكاً وقيماً لا تنتج إلا الأسوأ وصولاً إلى الشلل والعجز مقدّمة أجيالها الموبوءة فكراً وعقلاً وسلوكاً وطارحة نظريّاتها بأن الله غير موجود ونحن فوضى كونيّة عبثية لنا أن نتصرّف مانريد دون رادع، « مثال هنا تشكيل المجتمعات المدنية وحرية الزواج ولو من حيوان وتشريع المثلية الجنسية والدفاع عنها والاحتفال بأعياد غير معروف مصدرها كالهالولين.. ووو، وتشجيع اندثار العادات والتقاليد الجميلة التي تدعو إلى الألفة والتكاتف العائلي واحترام الكبير ومراعاة العجزة والعطف على الصغير والاحتفال بالمناسبات الاجتماعية والدينية وسلخ الجيل عن تاريخه وحضارته وتقديم تاريخ مزيف وحضارة وإعلام ودراما وكتب كما يشتهون هم.... غدت الآن خطراً تبيد المجتمعات... كحيوانات داشرة من نوع ليس لها فصائل أو تنظيم... كائنات تقرض نفسها للانقراض. متناسين: « قل مَن يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون» آية ٢٤٥ «سورة البقرة»

ففي مكان لا وجود فيه لإله توقّع أن تسكنه الأشباح والظلال ويختفي فيه الإنسان... «ونفسٍ وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح مَن زكّاها وقد خاب مَن دسّاها» آية ٩ من سورة الشمس

إذاً فالخيار معنا وهذه الآية القرآنية تختصر فكرة الوجود والعدم، الخير والإصلاح وإذكاء روح الصلاح أو الإفساد... فلنعقل أمرنا ولنمسك كتابنا بيميننا ولنعرف ماذا نقرأ ومن نجالس ولنتمسّك بالقيم الأخلاقية السليمة ولنسهر على صحة ضميرنا وعدم السماح لتمدد القسوة إلى قلوبنا لأنه متى مات القلب حلل الإنسان المحرّم وكره وغدا مخلوقاً كارهاً حاسداً كإبليس حين عصى ربّه فأحبّ أن ينزع ذريّة آدم ويفسد بذرته كي لا تنبت حياة صحيحة ولا ذرية سليمة لآدم فلا تُعمّر الأرض بقاطنيها... وفي النهاية كما قال الإمام علي : قد أضاء الصبح لذي عينَين»

فليس صعب أبداً النظر والتبصّر واليقظة والاجتهاد والعمل وعدم اليأس واتباع ما يوصل للخير

وكما قال الشاعر: تواضعْ تكن كالنجم لاح لناظرٍ... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تكُ كالدخان يرفع نفسه... إلى طبقات الجو وهو وضيع

وتر الكلام

كيف نحاصره...؟

سعاد زاهر

وأنت تمدح رواية لا تستحق، عملاً مسرحياً مهترئ، فيلماً لا يرقى إلى أدنى مستويات السينما المميزة...

كلها نوع من أنواع الفساد الثقافي، وبالطبع للفساد الثقافي مستويات ولكنها طالما تختص بالفكر والثقافة والروح فهي خطيرة جداً، لأنها تهيئ على انقلاب المعايير والقيم الجوهرية، وخلق وعي زائف...

إن غياب النقد يساعد في انتشار ظاهرة الفساد الثقافي، وكلنا نلاحظ حالياً إلى أي مدى يغيب النقد عن حياتنا، ليحل بديلاً منه، المدح والإعجاب الزائف.

مع استمرارية غياب الأسس التي يمكنها أن تعرقل الفساد الثقافي يخشى أن تتنامى البيئة المحتضنة التي تسهل ارتكابه دون أدنى صد، إضافة إلى مناخ سائد يعزز لدى مرتكبيه الشعور بالتفوق الكاذب حين ينشرون رواية على سبيل المثال ذات مستوى متدن ومع ذلك تجد من يهلل لها.

إن لانتشار الفساد الثقافي مخاطر عديدة من أبرزها ضعف الالتزام الأخلاقي الأمر الذي يهيئ لغياب المسؤولية وتلاشي قيم العمل ويخلق نوعاً من الصراع الثقافي الأجوف بين نتاجات لا تمتلك مقومات الإبداع ومع ذلك تتربع على الساحة الأدبية كأنها إبداع خالص.

كلها عوامل تهيئ على طغيان السطحي وانطواء المبدع الحقيقي، وعندما يبدأ الخلل الثقافي في التسرب تتأثر سلوكيات ذهنية الأفراد، الأمر الذي يؤثر على البعد الحضاري والثقافي، وتصبح القيم غير فاعلة بل يمكن أن تخلق قيماً معاكسة تشجع على انتشار وتعميم الفساد في نواح أخرى، إن لم يحاصر بشتى الوسائل الرادعة سواء أكانت قانونية أم تربوية أم تعليمية....

ظاهرة أم تهاون؟!

أدباء وكتّاب: جميعنا معنيون

حوار: فاتن دعبول

من الخطورة بمكان أن يتفشى الفساد في عناصر المجتمع الأساسية، إن كان الفساد اقتصادياً أو إدارياً أو سياسياً، ولكن أن يمتد الفساد ليطال ثقافتنا التي تشكّل الدعامة الأساس في بناء المجتمع، وأن يستهدف هذا الفساد ثقافة الأبناء ويمس رموز المجتمع أو يحاول أن يمزّق تلك الروابط الاجتماعية التي تشكّل حبل الوريد الذي يربط أفراد المجتمع، فهذا أمر جلل يجب التنبه إليه ومحاربته، لحماية البلاد من تدّهور اجتماعي وثقافي وقيمي.

وكثيراً ما نتحدث عن غزو ثقافي خارجي يتسلل إلى مجتمعاتنا ويسكن عقول أبنائنا، ونحاول عبر المنابر الثقافية الحدّ منه ونشر الوعي لخطورته، ولكن عندما يكون هذا الغزو داخلياً، فالأمر يصبح خطيراً ويستحق أن نطلق صافرة الإنذار من أجل توقف زحف الفساد الثقافي الذي يمس قيمنا وهويتنا وثوابتنا الوطنية.

معنى الفساد الثقافي وكيفية مواجهته، سؤال توجهنا به إلى عدد من الأدباء والباحثين والمهتمين بالشأن الثقافي، فكانت الآراء التالية، عساها تحرك الراكد وتصنع فرقاً.

يقول الدكتور حسين جمعة:

إن الفساد الثقافي هو أن يوضع غير المثقف في مكان غير جدير به، وأن يقود أنصاف المثقفين من هم أغنى ثقافة منهم، وأن يصبح المسؤول الثقافي هو المؤسسة الثقافية يتصرف فيها كأنها مزرعته.

وأن يعيّ الموظفون في المؤسسة الثقافية من غير الحقل الثقافي، وأن تكون الخطط الثقافية من غير الحقل الثقافي، وأن تكون الخطط الثقافية مؤدلجة لحساب نظرية من النظريات، بعيداً عن الثقافة الوطنية، وأن تكون الثقافة نسخاً وتقليداً لا ابتكار فيها ولا تابعة لأحد.

معايير ثقافية

وكلّ إصلاح ثقافي يوجب البناء على معايير ثقافية متقدّمة علمية ووطنية ينفذها مسؤولون مؤهلون ثقافياً ووطنياً وفق برامج مدروسة تبعاً للأعمار والمراحل التاريخية المنفتحة على تجارب الآخر وثقافته من دون الوقوع في التبعية والنسخ.

وتعد الشللية والفئوية والإيديولوجية والمذهبية والعشائرية من الأمراض التي أفسدت الثقافة وأهلها، ولعلّ ما أساء للعمل الثقافي أن كثيراً من الفئات المسؤولة لعبت على لقمة عيش الإنسان واستغلتها لبيع الضمائر فشوّهت الحياة وانتهكت القيم الخلقية.

تجاوز القيم والثوابت

ويبين الدكتور سليم بركات أنه يمكن تصنيف الفساد من حيث مجالاته إلى أنواع منها السياسي، الاقتصادي، الإداري والفساد الثقافي.

الأول: ويقصد به استغلال أصحاب المناصب للسلطة المخولة لهم من أجل الكسب غير المشروع، وغالباً ما كان هذا الفساد عنصراً في إحداث التغيرات السياسية عبر التاريخ عن طريق التمويل وإساءة استخدام السلطة، والثاني: وهو الفساد الاقتصادي البعيد عن تحقيق العدالة حيث التفاوت الكبير في الدخل بين أصحاب الدرجات العليا والعاملين في المستويات الأدنى، والذي يدفع إلى الانحراف للحصول على الرشوة والعمولات عبر تقديم الخدمات.

والثالث :وهو الفساد الإداري الذي يصيب مؤسسات وهيئات أجهزة الدولة، نتيجة الانحرافات الإدارية والوظيفية التي تصدر عن الموظف أثناء تأديته للعمل الإداري مخالف للتشريعات والقوانين من أجل الحصول على مكاسب ومنافع شخصية بطرق غير شرعية.

والرابع: وهو الفساد الاجتماعي وفي طليعته الثقافي الذي يتجاوز قيم وأخلاقيات المجتمع وثوابته العقائدية والتاريخية التي ورثها عن أسلافه، والتي تمثّل ركائز نهوض المجتمع لمواكبة التقدّم والتطور، ركائز لو تغير سلوك الفرد تجاهها تجعله يتعامل مع الآخرين بمادية، مغلّباً المصلحة الذاتية على المصلحة العامة.

من هذا المنطلق نستطيع أن نعرف الفساد الثقافي على أنه نوع من الفساد الذي يصيب الثوابت العامة للمجتمع، متغلغلاً إلى الهوية والموروثات، ليحدث خللاً يناسب رغباته ومصالحه بحجة حرية الرأي والإبداع، ومن خلال إيجاد مناهج تعليمية تثقيفية متعددة يصعب الاجماع الاجتماعي على إدانتها، أو سن التشريعات القانونية لتحريمها.

تبني الشمولية الفكرية في المجتمع

تشهد المجتمعات البشرية اليوم، بغض النظرعن موقعها الجغرافي أو درجة نموها الاقتصادي، أو مستوى ثقافتها السياسية، أشكالاً مختلفة لمفهوم الفساد الثقافي، كما هو الحال بالنسبة لمفهومي الخير والشرالمرتبط بطبيعة بني البشر، والمجتمعات البشرية الصالحة التي تخلو من هذا الإشكال لا وجود لها إلا في طوباويات الفلاسفة والمفكرين، لأنه ظاهرة تتسم بالعمومية التي شهدتها المجتمعات على مرّ العصور، والتي تتطلب استئصال هذا الفساد الذي شملت صوره» الأشخاص، السلوكيات، المعتقدات، الأخلاق والتعليم ..» وخير وسيلة لمحاربة هذا النوع من أنواع الفساد هو عدم تبني الشمولية الفكرية في المجتمع، لأنها المرتع الوحيد للفساد الثقافي، وهذه حتمية لا استثناء فيها، فحيث تحلّ الشمولية الثقافية ينتفي التعدد الثقافي وحواراته العلمية الديمقراطية، وبالتالي يحل الفساد الثقافي بكل أطيافه، ويكون افتقار الدولة للمجتمع النقدي السلاح الأمضى في مواجهة الفساد الثقافي.

يقول الدكتور عبد الله الشاهر:يعرف الفساد بأنه السلوك غير الصحيح الذي يقوم به من من له جانب من جوانب السلطة تمكنه من الاستحواذ على المال من دون وجه حق، ومن أشكاله» الرشوة، المحاباة، الواسطة ونهب المال العام والابتزاز ..» وهذا الفساد في كلّ حالاته هو جريمة يعاقب عليها القانون.

أما الفساد الثقافي بمفهومه الواسع هو سلوك الأفراد أو الجماعات الثقافية بقصد أو دون قصد، والذي يؤدي للعبث بأولويات المجتمع وإرثه الثقافي والفكري وتطلعاته نحو بناء مستقبل واعد، إما بإدخال مفاهيم جديدة ضارة أو بمحاربة مفاهيم أصيلة مفيدة تؤدي إلى تشوهات في البنية الثقافية للمجتمع.

هو الأخطر

وفي الواقع أن الفساد الثقافي هو الأخطر، لأنه يظل غائباً عن المفهوم العام للفساد، ومرد هذا الغياب راجع إلى أن الثقافة تتوجه في الغالب للنخب، ومن ثم فإن المستشعرين لأضرار هذا النوع من الفساد أقل بكثير، إضافة إلى أن هناك إجماعاً على إدانة الأنواع الأخرى من الفساد وتجريمها، بينما لا يوجد قانون واضح يردع ويجرّم الفساد الثقافي بصوره المتنوعة.

والإشكالية في الأمر والتي تغيب عن الكثيرين، هي أن هذه الأضرار الناتجة عن الفساد الثقافي أكبر وأعظم وأخطر بكثير من أنواع الفساد الأخرى، ذلك لأن الفساد الثقافي نوع خفي لا يمكن اكتشافه بسهولة، إذ إن تأثيره مستقبلي وبطيء، ذلك أنه يتصل بالعقول التي تبني الوطن وتسهم في ارتقائه، ويتصل بالفكر الذي يؤدي فساده إلى كوارث ثقافية واجتماعية وسياسية، ورغبة في الكشف عن هذا النوع من الفساد يمكن التعرض لبعض أنماطه وصوره للفت النظر إلى خطره وعظيم أثره.

أفكار هدامة

ومن صور الفساد الثقافي تمرير الأفكار الهدامة والخروج عن الثوابت من خلال الثقافة، وتفكيك الهوية الوطنية وممارسة الإرهاب الفكري وإثارة العصبيات والنعرات الطائفية.

ومن صور الفساد الثقافي أيضاً الشلليات والتجمعات المنزوية في زوايا كلّ مؤسسة ثقافية، حيث تسيطر هذه الشلليات عليها فكرياً، وتقوم بتوجيهها كيف شاءت من خلال بناء علاقات وتحقيق مصالح شخصية، أما الثقافة والفكر فآخر همهم.

والحقّ أن لهذه الشللية أثراً كبيراً وخطيراً ومدمراً ترتب عليها اختفاء رموز كبيرة من المثقفين وصعود أسماء لا تستحق، ومن صور الفساد الثقافي أيضاً السماح للأعمال المتهافتة الضعيفة بالنشر فضلاً عن الإعلان عنها والاحتفاء بها وإشهارها وحجب الكثير من الطاقات الإبداعية التي لم يوافق على نشرها، وهذا يفضي إلى إفساد الأذواق والاستهتار بالأدب والحط من مكانة الإبداع والمبدعين ويجرىء الفارغين على اقتحام هذا المجال، فيعيثون فيه فساداً بعقولهم الصدئة للتسلق على أكتاف المبدعين الحقيقيين، والتمظهر بصورة المثقف الأديب، فينخدع الناس بهم.

تنصيب غير المؤهلين

ولعلّ الأكثر خطراً هو تكليف غير المختصين بمناصب ثقافية، وتنصيب غير المؤهلين فكرياً وثقافياً في مواقع قيادة، فأمثال هؤلاء هم من يقودون الوطن، وهم من يوجهون أبناءه ثقافياً، ولذلك ينبغي الالتفات إلى هؤلاء وتخليص الثقافة منهم، حيث جمعوا بين الفساد الثقافي والإداري، وهنا يجب القول بأن أخطر نتيجة من نتائج الفساد الثقافي وأشدها ضرراً على المجتمع، يرجع إلى أن الفساد الثقافي يتمتع بحصانة ما يسمى حرية الرأي، أو حرية الإبداع والتي فهمها البعض على أنها انفلات، وأنها تتيح لك ما تريد دون وازع أو ضابط.

ويخلص د. الشاهر إلى الدعوة للاهتمام بهذا النوع من الفساد والتعامل معه بجدية والضرب بيد من حديد على كلّ من يستغل حرية الثقافة والرأي في الإساءة إلى الوطن.

هو الجهل الفاضح

ويرى د. محمد الطاهر أن للفساد الثقافي أنواعه، فساد الناقد عندما يتبوأ منصة النقد وهو جاهل لأصول النقد والتمكين النقدي، وفساد المؤلف الذي يسعى إلى استعارة الجمل والتعبير من الغير، كالشاعر الذي ينسب بعض شعر غيره، له وهذا يحدث يومياً على منصات التواصل الاجتماعي وأحياناً في المراكز والتجمعات الثقافية.

وهناك فساد الروائي والقاص والشاعر الذي يستعين بغيره ليكتب له لقاء أجر معين، وهذا أصبح ظاهرة لها أسواق رائجة بكلّ أسف، وكذلك فساد المسؤول في مكان ما وهو جاف من المعرفة وربما في أدنى صفوفها، ولدينا أمثلة كثيرة وكذلك الذي يتولى قيادة أو إدارة لندوة أو حوار، وينطبق الأمر ذاته على المتحاور الآخر.

إذاً الفساد الثقافي هو الجهل الفاضح لمن يمتهن حرفة الإبداع، ويمكن العمل لإعادة الثقافة إلى نقائها بحسن الاختيار للشخصيات التي تتولى الشأن الثقافي والتشدد أكثر في النشر لكلّ منتج يمكن أن نسميه إبداعاً.

ما هو الفســـاد الثقافـــي..؟

علي حبيب

سؤال كان عنوان دراسة موسعة قدمتها سارة الإيداء وفيها ناقشت وسائل هذا اللون من الفساد وهي ترى أنه:

تشهد المجتمعات البشرية بغض النظر عن موقعها الجغرافي أو درجة نموها الاقتصادي أو مستوى ثقافتها السياسي شكلاً أو آخر من أشكال الفساد.. فهو كمفهوم الخير والشر مرتبط بطبيعة بني البشر.. والمجتمعات الصالحة التي تخلو من كافة مظاهر الفساد لا وجود لها إلا في طوباويات الفلاسفة والمفكرين فالفساد الثقافي هو ظاهرة تتسم بالعمومية حيث شهدتها كافة المجتمعات بدرجة أو بأخرى على مر العصور بمختلف أنواع الفساد.

ونوضح معنى ومفهوم الفساد في اللغة: وهو العطب والتلف وخروج الشيء عن كونه منتفعاً به.. أما الفساد في الإصطلاح الشرعي فهو إظهار معصية الله تعالى والانحراف عن هدية وإلحاق الضرر بالآخرين وفي أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وكرامتهم والفساد هو الخلل والاضطراب والتلف.. عندما يكون الفساد مشكلة تعرقل المجتمعات في تطورها فيستوجب على المجتمع والقطاع الخاص والعام استئصال هذا الفساد..

ويمكن أن نوضح الفساد في معادلة.. الفساد= درجة احتكار القرار+ حرية التصرف – المساءلة.. أي أن الفساد مرتبط طردياً مع كل من الاحتكار والحرية وعكسياً مع المساءلة.

وصور الفساد الثقافي متعددة وتتضمن جوانب الثقافة فهي تمثل الأشخاص والأخلاق والسلوكيات والمعتقدات والأموال والقوانين. فمن صور الفساد: الفساد المالي، والفساد الأخلاقي، والفساد السياسي، والفساد التعليمي، والفساد الإداري، والفساد البيئي وقبل أن نتحدث عن هذه الأنواع سنتحدث عن عوامل انتشار الفساد داخل المجتمعات.

يعتمد انتشار الفساد على ثلاثة عوامل أساسية إذا توفرت له أصبح من السهل ممارسة الفساد وانتشاره.. أولها وجود دافع لارتكاب الفساد ويتمثل بوجود بيئة ضعيفة تسهل ارتكاب الفساد مثل: النظام الديكتاتوري يتسم بعدم الشفافية فيسمح لأصحاب المنظومة بارتكاب الفساد والاستفادة من المناخ السائد بالإضافة إلى انخفاض الحس الوطني والأخلاقي.. والعامل الثاني وهو وجود فرصة لارتكاب الفساد داخل إي ثقافة والعامل الثالث وجود مبررات لارتكاب الفساد لأنها إن برر للفساد بجميع أنواعه انتشر في المجتمع .. وأصبح ارتكابه أمراً طبيعياً ومن ثم تفشى داخل المجتمع.

وهذه هي العوامل الأساسية العامة في أي مجتمع يتعرض للفساد.. وسنذكر حلقات أكثر دقة للعوامل المؤدية للفساد.. الحلقة الأولى: هي تحلل القيم وضعف المبادئ وضعف الالتزام الاخلاقي، فبالتالي ينتشر الفساد فينتج عنه ضعف المسؤولية والإخلاص وتتلاشى كفاءة العمل.. الحلقة الثانية: الفراغ السياسي والتفتت الاجتماعي والتنافر والصراع الثقافي.. والحلقة الثالثة: عمق النزعة الفردية والأنانية وضعف الحس الاجتماعي القومي وهذا يزيد من الصراع بين المصالح الشخصية ومصالح المجتمع. الحلقة الرابعة: شيوع ظاهرة التوتر والقلق وضعف الولاء الوظيفي والانتماء القومي فتنخفض الروح المعنوية لدى الأفراد. الحلقة الخامسة: الخلل الإداري في ضعف أو انعدام المحاسبية و المساءلة عن الأخطاء والتجاوزات.. الحلقة السادسة: سيادة العمل الروتيني الشكل على حساب الجهد الإبداعي والابتكار.. الحلقة السابعة: السلوك الانطوائي والتحوصل الوظيفي والمؤسسي.. عندما يبدأ الخلل في جزء من الثقافة يبدأ يتسرب هذا الخلل إلى جوانب الثقافة الاخرى فتتأثر السلوكيات والممارسات بين أفراد المجتمع وقد يؤدي شيوع الفساد وانتشاره إلى قتل حضارة وثقافة الأمة.

وسنلخص أنواع الفساد الثقافي:

الفساد التعليمي:

لا يخفى على أحد أن كل موظفي القطاعات العامة والخاصة هم نتاج النظام التعليمي.. أي يمكن القول أن الفساد الذي يتكون الآن في المجتمع والثقافة هو نتاج النظام التعليمي وأحد مخرجاته وعليه لا يمكن إعفاؤه من المسؤولية.. فمؤسسات القطاع العام التربوي تعاني من الإنفاق غير الرشيد للموظفين غير الأكفاء.. ففي الجامعة كمؤسسة تعليمية نجد أن الآلاف من الموظفين الإداريين.. والسؤال هو كيف تم تعيينهم هل هو بناء على خبراتهم وكفاءتهم أم أن وجودهم هو نتاج الفساد التعليمي.. وكذلك المدارس والمعلمين هل معلمو المدارس قادرون على حمل المسؤولية التربوية ولا يخلو القطاع الخاص من الفساد في السلوكيات والتجاوزات في الادارة وبين الطلاب وبين المعلمين.. أن معظم القيم التي تحكم سلوكنا تأتي في مرحلة حياتنا الأولى من خبرات الأسرة ثم المدرسة ومن ثم الجامعة.. فإن كانت هي تمارس الفساد ومصدرة له فستنتج افراداً اعتادوا عدم الإخلاص والفساد فبالتالي يسهل عليهم ممارسته مستقبلاً.

الفساد المالي:

يتمثل الفساد المالي أو الاقتصادي بمجمل الانحرافات المالية ومخالفة القواعد والأحكام التي تنظم العمل الإداري والاقتصادي في الدولة ومؤسساتها ومخالفة تعاليمها والتعاليم الخاصة بأجهزة الرقابة المالية.. ويمكن ملاحظة الفساد في: الرشاوى والاختلاسات وفي التهرب من الضرائب وتخصيص الأراضي (رفلعي،٢٠١١).. وفي التشريع الجنائي الإسلامي فالفساد يتمثل بالربا والإسراف في غير حق ولعب القمار والميسر وكسب المال بالسلطة والجاه.

الفساد السياسي:

وهو مجمل الانحرافات المخالفات للقواعد والأحكام في النسق السياسي في الدولة ويتمثل في: فقدان الديمقراطية وفقدان المشاركة وفساد الحكام وسيطرة نظام حكم الدولة على الاقتصاد وتفشي المحسوبية.. أي أنها الإساءة في استخدام السلطة العامة (الحكومة) لأحداث وأمور غير مشروعة فالفساد يؤثر في القدرة المؤسساتية للحكومة لأنه يؤدي إلى إهمال إجراءاتها واستنزاف مصادرها وفقد القيم الديمقراطية والثقة والأمانة والتسامح وقبول الآخر.

الفساد الأخلاقي:

وهو تحريف وتخليل وتزييف سلامة الفضائل والمبادئ الاخلاقية بصفة عامة والسلوكيات والممارسات (حسن،١٩٩٣).. وهو يمثل الانحرافات الأخلاقية والسلوكية المتعلقة بسلوك الشخص وتصرفاته كالقيام بتصرفات تخالف الاخلاق في أماكن العمل وأن يجمع بين الوظيفة وأعمال أخرى خارجية دون إذن إدارته أو أن يستغل السلطة لتحقيق مآرب شخصية على حساب المصلحة العامة أو ممارسة المحسوبية بشكل اجتماعي الذي يسمى (المحاباة الشخصية) مع تجرده من الكفاءة والجدارة والإخلاص

الفساد البيئي:

ونشير هنا إلى ما ذكر في القران الكريم.. قال تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) (سورة الروم، آية ٤١).. وأهم مظاهر الفساد هو تلوث المياه بالزيت أو المخلفات الصلبة بالإضافة إلى تلوث الهواء بتسرب الغازات من المصانع والمتفجرات النووية وكذلك قطع الأشجار الغابات وصيد الطيور والحيوانات مما يؤثرعلى تكامل عناصر البيئة.

الفساد الإداري:

ويقصد بها الانحرافات والسلوكيات الإدارية الوظيفية والمخالفات التي تصدر عن الموظف العام أثناء تأديته لمهام عمله في المنظومات وذلك مخالفة للقواعد والقوانين والتشريعات والقيم التي لا ترقى للإصلاح والتطوير بل تدعوا الى التأخر وفقدان الثقة والأمانة. وتمثل عدم احترام المواعيد والأوقات والتراخي في العمل وإفشاء أسرار العمل التجاوزات على حساب الغير.

الفساد المجتمعي:

إن العامل الاجتماعي الذي ينظم العلاقات داخل المجتمع وهويته وهو تكون الثقافة.. فالفساد عندما يصيب المجتمع فإنه يصيب الإنسان والأفراد بالقيم والأخلاق والسلوكيات فتصبح القيم غير فاعلة فبالتالي يسهم في خلق قيم معاكسة ومغايرة فبالتالي ينتج عنها تصرفات سلبية.

يحتاج كل مجتمع إلى مبادرات وآليات للحد من انتشار ممارسة الفساد وتفشيه داخل المجتمع وقمع كل أسبابه بجميع أشكاله الفساد الثقافي المتمثل في جوانب وكيان المجتمع.. فنذكر اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد فهي تسعى الى منع الفساد وكبحه ونشر قيم الأمانة والاحترام وسيادة القانون وتعزيز التنمية (الأمم المتحدة، ٢٠٠٤).. والمملكة تسعى لمكافحة الفساد بأنواعه حيث عقد مؤخراً في الرياض المؤتمر الدولي «مكافحة الفساد.. مسؤولية مجتمعية» الذي تبنته الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد «نزاهة» في تاريخ ١٥ مارس ٢٠١٥ وقد خرجت منه بمجموعة من المبادرات والتوصيات للحد من الفساد والسعي نحو رقي وتنمية المجتمع والمحافظة على موروثه الثقافي والحضاري.

زاوية حادة..

عن الخزان اللغوي ...

د.ح

كان العرب القدماء يرسلون أبناءهم إلى البادية حيث اللغة البكر التي لم تلوث بعد ..ولا يكتفون بذلك بل يعمدون إلى مرافقة شعراء ليكونوا رواة لهم يحفظون من مناهلهم اللغوية ليصلوا إلى زاد لغوي خاص بهم ...

اليوم تقلصت الذخيرة اللغوية حتى عند المبدعين والكتاب..ثمة جمود عند عدد محدود من المفردات لا يعمل الكاتب على زيادتها من خلال تنمية لغته ...

وقد رسخت المناهج المدرسية الحديثة ذلك إذ أبعدت حفظ القصائد والأناشيد الجميلة واعتمدت على أسلوب سريع الإيقاع لا يدل على حسن فهم واستيعاب ..

ذخيرة أجيالنا اللغوية في خطر ..

عن الفساد الإعلامي والثقافي

أيمن المراد

الفساد في معاجم اللغة هو في (فسد) ضد صَلُحَ (والفساد) لغة البطلان، فيقال فسد الشيء أي بطُلَ واضمحل، ويأتي التعبير على معانٍ عدة بحسب موقعه.

التعريف العام لمفهوم الفساد عربياً بأنه اللهو واللعب وأخذ المال ظلماً من دون وجه حق، ما يجعل تلك التعابير المتعددة عن مفهوم الفساد، توجه المصطلح نحو إفراز معنى يناقض المدلول السلبي للفساد، فهو ضد الجد القائم على فعل الائتمان على ما هو تحت اليد (القدرة والتصرف).

يعد الفساد ظاهرة اجتماعية وسياسية واقتصادية معقدة تؤثر في جميع البلدان. فالفساد يقوض المؤسسات الديمقراطية، ويبطئ التنمية الاقتصادية، ويسهم في انعدام الاستقرار الحكومي. كما يهاجم الفساد أسس المؤسسات الديمقراطية من خلال تشويه العمليات الانتخابية، وتحريف سيادة القانون، وخلق مستنقعات بيروقراطية قائمة على طلب الرشاوى فقط. وقد توقفت التنمية الاقتصادية بسبب تثبيط الاستثمار الأجنبي المباشر.

وتعد اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد هي الصك العالمي الوحيد الملزم قانونيًا لمكافحة الفساد. حيث إن نهج الاتفاقية البعيد المدى والطابع الإلزامي للعديد من أحكامها يجعلان منها أداة فريدة لوضع استجابة شاملة لمشكلة عالمية.

ومؤتمر الدول الأطراف هو الهيئة الرئيسية لصنع السياسات في الاتفاقية، حيث يدعم الدول الأطراف والدول الموقعة في تنفيذ الاتفاقية، كما يقدم المؤتمر التوجيهات السياسية إلى مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة لتطوير وتنفيذ أنشطة لمكافحة الفساد.

فاتفاقية الأمم المتحدة تساعد الشركات الصغيرة والمتوسطة على فهم مخاطر الفساد المرتبطة ببيئة عملها، وتحديد مواطن الضعف الداخلية حتى يتسنى لها مكافحة الفساد بفعالية من خلال تخصيص الموارد والتركيز على مواطن الضعف الأكثر عرضة للفساد.

عرّف البنك الدولي الفساد بأنه شكل من أشكال خيانة الأمانة أو الجريمة يرتكبها شخص أو منظمة يُعهد إليها بمركز سلطة؛ وذلك من أجل الحصول على مزايا غير مشروعة أو إساءة استخدام تلك السلطة لمصلحة الفرد. يمكن للفساد أن يشمل العديد من الأنشطة التي تتضمن الرشوة والاختلاس، ويتضمن أيضًا ممارسات تُعد قانونية في العديد من البلدان. يحدث الفساد السياسي عندما يتصرف صاحب المنصب أو أي موظف حكومي آخر بصفة رسمية لتحقيق مكاسب شخصية. الفساد هو الأكثر شيوعًا في الديمقراطيات الهشة والدول النامية، ودول المخدرات، ودول المافيا.

الفساد والجريمة هما حدثان اجتماعيان متوطنان يظهران بشكل منتظم في جميع البلدان تقريبًا على نطاق عالمي بدرجات ونسب متفاوتة. تخصص كل دولة موارد محلية للسيطرة على الفساد وتنظيمه وردع الجريمة. غالبًا ما تُلخّص الاستراتيجيات التي تُتّخَذ من أجل مكافحة الفساد تحت مظلة مصطلح مكافحة الفساد.

وسائل الإعلام والتي هي الوسائل المنظمة التي تقوم بنشر الحقائق والآراء والترفيه وغيرها من المعلومات، ومن الأمثلة عليها؛ الصحف، والمجلات، والإعلانات الخارجية، والأفلام، والراديو، والتلفاز، وشبكة الويب العالمية، والكتب، والأقراص المدمجة، وأشرطة الفيديو، وألعاب الحاسوب ويُوصف الإعلام المجتمعي أيضًا بأنه شكل من أشكال المنظمات المدنية الشعبية التي تتيح تبادل الأفكار في العالم بطرق يمكن أن يتردد صداها على الصعيد المحلي، وتتخذ وسائل الإعلام أشكالًا عديدة، وتشمل الشبكات الاجتماعية مثل تويتر وفيسبوك وغيرهما، كما أنها تشمل المدونات التي يتم إنشاؤها بوساطة مواقع مثل بلوجر، وتبادل مقاطع الفيديو مثل اليوتيوب، وخدمات مشاركة وتبادل الصور مثل إنستجرام، حيث لكل منها آثار سلبية وإيجابية.

إن الفساد الإعلامي والفساد الثقافي أخطر من الفساد السياسي، بل أخطر من الفساد المالي، ومن المكن إصلاح الفساد السياسي والمالي، ولكن لا ليس من الممكن إصلاح فساد الثقافة وفساد الصحافة !!!

يعد الإعلام في المرحلة الراهنة أقوى سلاح فكري ومعلوماتي في العالم، إذ يعمل على تغطية الأحداث بشكل آني ومباشر، ويصنعها في حين آخر، بهدف قيادة المجتمعات صوب أجندة القائمين بصناعته، فمن دون شك هناك علاقة حميمة بين المال والإعلام والسلطة، ما يجعل من مهنة المتاعب محركاً أساسياً في لعبة الصراعات الدولية.

إن الهدف من صناعة الإعلام هو تغطية الأحداث والحصول على أرباح مادية عن طريق الإعلانات التي باتت مصدراً رئيساً لتمويل الكثير من وسائل الإعلام المتطورة، لكن واقع العمل الإعلامي يشير إلى وجود دوافع أخرى تتخطى مجرد جني الأرباح، إذ إن هيمنة الإعلام على مختلف الصعد ودوره في تشكيل الرأي العام يمكن يكون عنصراً أساسياً في تجنيد الجمهور لأجندة خاصة غير معروفة المقاصد، قد تخبئ وراءها أسرار الصناعة الإعلامية.

إذ يؤدي الإعلام العصري أدواراً حيوية يمكن أن تسهم في بناء أو هدم أي مجتمع من المجتمعات، ما يعني أنه سلاح ذو حدين، لذا يجب الحذر الشديد من الفساد الإعلامي واستشرائه بين الجمهور، وذلك عبر نشر الشائعات أو مهاجمة تيارات نافعة للمجتمع أو الترويج لتيارات فاسدة لحساب أي جهة أو تحريك الرأي العام أو تجميده، وخصوصاً أن العصر الراهن يشهد خلطات إعلامية يصعب فرزها أو تصنيف أهدافها، فهي ليست مقصودة بما تحمله الكلمة من معنى، وفي الوقت نفسه ليست تلقائية، وهذا يعني أنه لا يوجد في وقتنا إعلام متزن.

لكن ما يشهده عالم الإعلام في الآونة الأخيرة من فساد وانتهاكات على غرار سرقة الملكية الفكرية للمواد الإعلامية ونسبها للذات، وخاصة عبر وسائل الإعلام الإلكتروني، بل انتقل الإعلام من الفاسد إلى المفسد من خلال المساهمة في إذكاء الطائفية وزرع الأفكار المغلوطة، وهذا يحتاج لمواجهة حاسمة ليست فقط بالقانون ومواثيق الأخلاق، ولكن عبر تثقيف وتوعية المجتمع بشكل شامل، وكذلك بتبني حملات ودعوات يتم تدشينها لمواجهة طوفان الفساد الإعلامي الذي يهدد المجتمعات على الصعد كافة.

فعلى الرغم مما يشكله الإعلام من فضاء مثالي للتعبير عن الرأي في بعض المجتمعات، ونقل الأحداث والمعلومات وتبادل الآراء، فضلاً عن مساهمته بشكل كبير في تطوير المجتمعات من خلال التثقيف والتعليم وتشكيل الرأي العام وغيرها الكثير من الوظائف الأخرى، لكن في الوقت نفسه فإن الغزو الإعلامي للمجتمعات النامية ترك آثاراً سلبية في شتى المجالات وخاصةً المجال الإعلامي والثقافي، فوكالات الأنباء العالمية بما تمتلك من قدرات على نقل أخبار العالم، وتشكيل التصورات عن الأشخاص والشعوب والثقافات، والتحكم بالاتصالات الدولية من خلال الأقمار الصناعية، إضافة إلى الهيمنة على السوق التجاري إنتاجاً وتسويقاً لصناعة وتشكيل العقل البشري من خلال البرامج والأفلام والمجلات، وهو ما خلق حالة استلاب واضحة لدى الكثير من البلدان النامية ولاسيما بلدان الوطن العربي، وتتمثل هذه الحالة بالاعتماد الشامل في معرفة وتناقل الأخبار على وكالات الأخبار الأجنبية وإهمال المصادر المحلية في معرفة الأخبار على الرغم من أن هذه المصادر المحلية هي أقرب من مثيلاتها، وعليه فان الإعلام بات النظام العالمي الجديد في عصرنا الراهن، من خلال ما يقدمه من خدمات واسعة النطاق وعلى أكثر من صعيد سواء أكان ايجابياً أم سلبياً، ولاسيما في هذا العصر الذي أحدث فيه الإنترنت والتكنولوجيات الجديدة ثورة في هذا القطاع وفي المجتمع كله حتى صار اليوم الإعلام ميداناً عالمياً في مجالات الحياة العامة كافة.

تشكل وسائل الإعلام المنتشرة «مجتمعًا جماهيريًا» يتسم بخصائص معينة، ولاسيما العزلة أو الافتقار إلى الصلات الاجتماعية، ما يجعل المجتمع عرضة على نحو خاص لتأثير تقنيات الإقناع الحديثة مثل الدعاية، ويعد فك شيفرة ما هو صحيح وما هو غير صحيح صعبًا؛ لأن وسائل الإعلام تتغلغل في المجتمع بأكمله، فإن مداها وتأثيرها هائلان، وإن مسؤولية المشاركين في هذا النوع من الاتصالات كبيرة، إضافة إلى أن اتجاه المجتمع البشري في المستقبل يمكن أن يعتمد عليهم.

الفساد الثقافي نوع آخر من أنواع الفساد الذي يصيب الثوابت العامّة لدى المجتمع، فيتغلغل إلى الهُوِيّة والموروثات، ويحدث في الأغلب بحجّة حرّية الرأي أو حجّة الإبداع، ومن خلال الوسائل مناهج التعليم، ما حدا بالبعض إلى القول بصعوبة الإجماع على إدانته أو سنّ التشريعات لتجريمه.

إن أهم وسائل الفساد الفكري والثقافي هو حالة الانفتاح الكبيرة على الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي دون قوانين ضابطة، حيث يعد البعض معلومة شبكات التواصل حقائق، ويبدأ بتداولها على هذا الأساس دون بحث وتدقيق، ومثال على ذلك أمور تمس الشخصيات العامة، باستخدام صور تعدل مكوناتها لتظهر على غير حقيقتها.

ومن الصور الخطيرة طرح أفكار مرفوضة وسط مجموعة من الأفكار الجيدة، ويدخل السم في الدسم، وقد تؤدي هذه الأفكار إلى تكفير أفراد في المجتمع أو رفض الآخر أو إباحة التعدي عليه،الفساد الثقافي يأتي أيضاً من انتشار وسائل الترفيه والثقافة والفن دون مراقبة، ومن أخطرها برامج الأطفال التي تحتاج لرقابة شديدة ومتواصلة، والمسلسلات التي تبيح السلوكيات المجتمعية غير المقبولة، فتنقلها إلى سلوكيات ممكن الحديث عنها لتصل في النهاية لاعتبارها سلوكيات لاعيب فيها.

هذه الصور من الفساد يجب أن تحارب بقوة، لأنها جرائم بحق الفرد والمجتمع، لا تدخل ضمن الجرائم التي يعاقب عليها القانون إلا بعد أن تصبح عملاً قائماً بذاته يستحق العقوبة، إن محاربة هذا النوع مسؤولية المجتمع بكامله من مدرسين ورجال الدين والدعاة والأسرة والإعلام ووزراة الثقافة ووزارة التربية بشكل خاص، ويجب البحث في أشكالها وطرق مقاومتها، وسن القوانين الناظمة للعمل الإعلامي والدعائي والتعامل مع شبكات التواصل دون المساس بحق الفرد بالتعبير والسؤال وإبداء الرأي.

للهجرة في الرواية مواسم

دلال ابراهيم

حينما نزلت الشابة الريفية مرتا حداد من الباخرة قادمة من جبل لبنان (سورية الكبرى) ولمحت تمثال الحرية على الأطلسي في مدينة نيويورك ظنته أنه تمثال للعذراء (فدمدمت صلواتها وهي تنزل من الباخرة إلى «إليس أيلاند» المهاجرون تدافعوا على «السقالة» الخشب وهي تمسّكت بحبال الدرابزين ورأت جرذان الماء تقفز من الصناديق إلى الأرصفة.. المبنى الضخم المتربع على الجزيرة ابتلع البشر المتدفقين كالأنهار من البواخر: أين يختفون؟ لا يغرقون في الضباب، لكنهم يغيبون).. ومن هنا يبدأ الروائي ربيع جابر سرده لأحداث الهجرة الكبرى للسوريين من بلاد الشام إلى أميركا منذ نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، حينما صارت تقاليد تلك الهجرة راسخة لعقود ممتدة.. في روايته تلك (أميركا) يحكي الكاتب بصورة تفصيلية وقائع تلك الهجرة ورحلة العمالة السورية التي استقر بها الحال في مصانع النسيج، ومنهم من عمل باسم الكشاشين (الباعة المتجولين) ويحكي كيف استطاع المهاجرون نقل بلادهم وإرثهم الثقافي إلى (الحي السوري) في قلب نيويورك. غادرت مرتا حداد منزلها الريفي في جبل لبنان إلى المجهول ..تحمل ذكرياتها وحياتها في كيس في عام ١٩١٣ .بحثاً عن زوجها الذي هاجر إلى أميركا وانقطعت أخباره عنها فجأة وبعد عام قررت أن تهاجر (قلبها سيفقع) بينما جموع المهاجرين الذين رافقتهم في الرحلة فقد كانت وجهتهم البحث عن الرزق بعدما انهكتهم الفاقة والعوز والجوع في بلادهم.. يدعي جابر أن أحداث روايته وشخوصها هي (محض خيال) إلا أنه استشهد بأحداث تاريخية حقيقية.. وشخصية مرتا حداد وعلي جابر موجودة في سجلات « إليس أيلاند « وبالتالي فقد صنع ربيع جابر من شخصيات تاريخية عالمه الروائي المتخيل.. ويصف بدقة البضائع التي كان يبيعها الكشاشون وأسعارها وماذا كان يحمل المهاجرون في حقائبهم أثناء رحلة الهجرة، وكل تلك التفاصيل نشرت عنها الصحف حينها تقارير بالرجوع إلى أرشيفها.

وفي روايته (الحي اللاتيني) يروي سهيل ادريس سفر مجموعة من الشبان من لبنان إلى فرنسا بنية الدراسة، ولكن وبمجرد وصولهم إليها رموا أنفسهم في أحضان العهر والخمر والمجون، وتخلوا عن الثقافة التي تربوا عليها باستثناء بطل الرواية الذي خرج من حياة الشوارع وفتيات الليل، بعد أن عثر على فتاته الشقراء المنشودة وعاش معها قصة حب متبادلة ولما جاء بزيارة لأمه في بيروت وأخبرته صديقته أنها حامل منه، استنكر الأمر وطالبها بالتخلص من الجنين، ولدى عودته باريس وإبداء رغبته بالاعتذار وعودة العلاقات بالزواج رسمياً رفضت عرضه وقالت مقولتها « عد أنت إلى شرقيتك واتركني أنا هنا أكمل طريقي في موطني».

أما يحيى حقي وفي روايته « قنديل أم هاشم « التي ارتبط اسمه باسمها وغطت عن كل أعماله يقول عنها « إننا إذا عدنا إلى الخلف سنجدها في كتابات عبد الله النديم الذي يتحدث في أحد النصوص عن شاب مصري يسافر إلى أوروبا لينقلب كل شيء في حياته وهذا ما حدث في « قنديل أم هاشم « فعندما عينت في السلك الديبلوماسي وجدت فرقاً شاسعاً بين هنا وهناك، فكتبت أصور شاباً مصرياً يتغير ويتبدل وتعيد الغربة تشكيله ليعود إلى وطنه وقد فقد هويته، فيحاول أن يشق طريقه وهو غريب عن مصر لم يعد مرة أخرى إلى الانتماء فيفتح الله عليه».

ويتناول علي مصباح في روايته « سان دني « مشكلة الهوية والانتماء لجيل عريض من دول شمال أفريقيا، أولئك الذين كانوا يلقون بأحذيتهم في البحر (إشارة اللاعودة) يخوضون من خلالها معركة الهوية والانسجام وفرض الذات من جهة، والانتقام من الآخر (الفرنسيين/ المرأة / المجتمع) من جهة أخرى..يحكي «عن التخبط والضياع الذي تعيشه النخب ممزقة بين وطن يمد يده مستجدياً وبلاد ظنوها جنة فإذا بها تشقبلهم في حاناتها أعواماً دون أن ينالوا منها شيئاً «.

فاروق يوسف، الكاتب العراقي، من جانبه جمع أنواعاً أدبية في كتابه (أصوات الغابة) يسرد فيها حياة لاجىء عراقي عاش في الغابات الأسوجية أو الغابات السويدية.. ولكن تناغم البطل مع الطبيعة الأم واستغراقه فيها لم يحل دون العودة إلى أمه الطبيعية في بغداد فيرسل لها رسالة طويلة من الغابة تشكل إطاراً للتذكر والحنين والبوح وتتكشف عن مركزية موقع الأم في حياته وتأرجحه بين شوقه إليها وعجزه عن العودة لأن العراق لم يعد العراق وهو لم يعد نفسه.. وتجاذبه بين أم بيولوجية لا يستطيع العودة إليها وأم طبيعية لا يقوى على مغادرتها.. يدفن في الغابة اغترابه، ويتناغم معها إلى حد التوحد.

وأيضاً مع العراق ومع الكاتب صموئيل شمعون وروايته (عراقي في باريس) التي بناها وفق إطار من الفطنة والفكاهة والسخرية، تشبه إلى حد ما حكايات شهرزاد.. يحكي فيها قصة جيل كامل من الشباب الذين دمرت حياتهم الإيديولوجيات التي هيمنت عليه.. وضمن سرد أشبه بالسيرة الذاتية يحكي عن رحلة التشرد وتعدد الثقافات التي تنشأ للأقليات العرقية والمهاجرين والمشقة والعناء التي يلقاها المهاجر مع الثقافة الجديدة.. أي أيضاً الطرق على مشكلة الهوية والانتماء ومشكلة الاختلاف التي تصل أحياناً حد التناقض.. وتتطابق أحوال المهاجر لديه مع ما أشار إليه كل من إدوارد سعيد وحسين البرغوثي في كتبهم عن الإقامة القسرية والسفر القسري، حيث أظهر أدب المنفى إنساناً عربياً جديداً يشمئز من كل ثبات واستقرار وانصهار في انتماء واحد ليكون الإنسان العربي شديد الحرص على الاهتمام بصراعه مع الهوية.. وهذا ما أشار إليه الكاتب حسين البرغوثي في روايته « سأعيش بين اللوز « عندما يفقد أحد ماضيه تماماً، تستطيع أن تصنع بمستقبله ما تشاء، لأنه قد فقد « ظله» الممتد في التاريخ .»

ولا بد هنا وفي حديثنا عن الهجرات والتوق إلى حياة جديدة في عالم ينشد فيه الشباب حياة الحرية والعيش الكريم.. أن نتطرق إلى رواية الطيب الصالح « موسم الهجرة إلى الشمال « يتحدث فيها عن التقاء الغرب والشرق في شخص واحد ينتقل من القرية إلى الغرب.. يقول وهو يصب جام غضبه على هذا الغرب اللعين، الذي خابت آماله فيه «» إنني أسمع في هذه المحكمة صليل سيوف الرومان فى قرطاجة، وقعقعة سنابك خيل اللنبي و هي تطأ أرض القدس، البواخر مخرت أول مرة تحمل المدافع لا الخبز، وسكك الحديد أنشئت أصلاً لنقل الجنود.. و قد أنشأوا المدارس ليعلمونا كيف نقول «نعم» بلغتهم.. إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوروبي الأكبر الذي لم يشهد العالم مثيله من قبل في السوم وفي فردان، جرثومة مرض فتاك أصابهم منذ أكثر من ألف عام.. نعم يا سادتي، إنني جئتكم غازياً فى عقر داركم.. قطرة من السم الذي حقنتم به شرايين التاريخ.. أنا لست عطيلاً.. عطيل كان أكذوبة».

ونعود إلى المشهد الأول من الرواية التي بدأنا بها» أميركا « حينما وقفت بطلة الرواية « مرتا حداد « تقول من على ميناء « إليس أيلاند « وهي تصلي كي لا تضع عليها المرأة التي ترتدي زي الشرطة علامة (X) وتَعيدها إلى المركب من حيث أتت « لا شك أنها تريد أن تسألني : ما الذي أتى بك أيتها المسكينة من آخر الدنيا إلى آخرها الآخر الذي لا تعرفين فيه أحد ولا تتحدثين حتى لغته؟!»

لا أظن في الوقت الحالي سيطرح أي أحد هذا السؤال على أعداد المتدفقين في سفر الشتات صوب الشمال الغني قادمين من جنوب فقير منهك جوعاً وقهراً وخوفاً..

أحمد عبيد...الكاتب والمحقق والناشر

أحمد بوبس

لا نبالغ إذا قلنا إن أحمد عبيد هو صاحب الريادات الثقافية العديدة، فهو إضافة إلى كونه أديباً ألمعياً، يمكن اعتباره من أهم من قاموا بتحقيق المخطوطات التراثية، وهو صاحب ثاني مكتبة ودار نشر في دمشق، وهو أول من أصدر التقويم الجداري، وإلى كل ذلك هو الرائد في إنشاء فرقة مسرحية بعد أبي خليل القباني.

ولد أحمد عبيد في دمشق عام ١٨٩٢، وبدأ تعليمه الأول في (الكتّاب)، ونشأ يتيم الأب في كفالة أمه وشقيقه الأكبر. التحق أولاً بالكتّاب، ثم بالمدرسة السلطانية المعروفة بمكتب عنبر وهي الثانوية الوحيدة في دمشق آنذاك. وأكب على قراءة الكتب، وشغف بالشعر منذ صغره فحفظ منه الكثير، وبدأ يقرضه في مطلع شبابه. وأراد له أهله أن يكون طبيباً، لكنه اختار الأدب والثقافة.

بدأ أحمد عبيد أولى خطواته في الثقافة في مطلع شبابه، وكان المسرح أول ما استهواه، فقد كان يحضر عروض الفرق المسرحية المصرية التي كانت تزور دمشق، ولا سيما فرقة سليمان قرداحي، فأحب محاكاتها، فكتب نصاً مسرحياً، ضمّنه الكثير من الحكم والطرائف، وشكل فرقة مسرحية من مجموعة من أصدقائه، وبعد التدريبات بدأت الفرقة تُقدم عروضها في إحدى القاعات الكبيرة في منزل أهل أحمد عبيد، كان ذلك أواخر عام ١٩٠٧. وتكررت عروض الفرقة، ولمّا أثبتت نجاحها انتقلت عروضها إلى مسرح القوتلي في السنجقدار، لكن أحمد عبيد وجد في الكتاب خير صديق له، وبشكل خاص المخطوطات القديمة وكتب التراث. ومن أجل تحقيق طموحاته قام مع شقيقيه حمدي ومحمد توفيق بإنشاء مكتبة عام ١٩٠٨، أطلقوا عليها (المكتبة العربية) وكانت في الوقته نفسه داراً للنشر، وكان موقعها في سوق الحميدية. وهذه المكتبة أتاحت له بدء مشروعه الأدبي في تحقيق المخطوطات والتعليق عليه وإصدارها. وقام باقتناء الكتب النادرة من مصر وتركيا، كما اهتم بالمخطوطات، وتعمقت تجربته فيها، فكان من أبرز الخبراء بالكتب والمراجع والمصادر في الوطن العربي.

نشر أحمد عبيد في المكتبة العربية نفائس كتب التراث العربي، وتميّز في منشوراته بالإشراف عليها إشراف العالم الغيور فيما يضعه بين أيدي الناس. فكانت كتبه التي يصدرها كأنها من تحقيقه، وكانت مكتبته من أوائل دور النشر الجادة التي خدمت الكتاب. كما كانت المكتبة ملتقى لرجال العلم والفكر والأدب، ومنهم خير الدين الزركلي ومحمد كرد علي.

نشر أحمد عبيد في المكتبة العربية نفائس كتب التراث، بعضها كانت مخطوطات قام بتحقيقها والتعليق عليها ثم طبعها وأصدارها، كما أصدر كتب كتباً أخرى من تأليفه. وبلغ عدد الكتب التي أصدرها من تأليفه أو تحقيقه أو تصحصحه وتعليقه خمسة وثلاثين كتاباً.

ومن الكتب التي ألفها (مشاهير شعراء العصر في الأقطار العربية الثلاثة مصر وسورية والعراق) و(شعراء مصر) و(طرائف الحكمة في جزأين، و(الأمثال الدارجة) و(ذكرى الشاعرين..شاعر النيل حافظ ابراهيم وأمير الشعراء أحمد شوقي)، ومن الكتب التي جمعها ورتّبها (المسائل الشرعية في الأحكام الفقهية) و(كلمات المنفلوطي)، ومن الكتب التي حققها (تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر و(روضة المحبين ونزهة المشتاقين) لابن قيّم الجوزية و(طبقات الحنابلة) لأبي علي الفرّاء، (وسحر البلاغة وسر البراعة) للثعالبي، وحقق أربعة كتب للسيوطي وكتب كثيرة غيرها.

كما طبع وأصدر في مكتبته العديد من الكتب النفيسة، من أهمها (موسوعة الأعلام) لخير الدين الزركلي، وقد نوّه الزركلي في مقدمته للموسوعة بقيام المكتبة العربية بإصدارها، إلا أن إحدى دور النشر في لبنان أعادت طباعتها عدة مرات، وحذفت منه مقدمة الطبعة الأولى.

لكن الإنجاز الأهم لأحمد عبيد ومكتبته، تمثلت في إصدار (التقويم العربي) عام ١٩٠٨. ويتألف التقويم من /٣٦٥/ ورقة بعدد أيام السنة،كل ورقة مخصصة ليوم، معلقة على لوحة كرتونية تغطيها الطغراء والزخارف العربية، ويتضمن الوجه الأول للورقة التاريخين الهجري والميلادي لليوم، ومواقيت الصلات لكل محافظة، وفي أسفل الورقة يُذكر المناسبة التي تصادف في ذلك اليوم مثل الأعياد الدينية الإسلامية والمسيحية والأعياد الوطنية، وإذا لم يصادف مناسبة تكتب عبارة (التقويم العربي)، أما الوجه الخلفي للورقة فيتضمن طرائف أدبية أو حكماً أو أبياتاً شعرية لشاعر مشهور، فتتحقق بذلك الفائدة الثقافية إلى جانب غايته الأساسية. وكان في الوقت نفسه يصدر تقويم آخر مشابه عن المكتبة الهاشمية، وفي عام ١٩١٨ اتفقت المكتبتان على توحيد التقويمين بتقويم واحد يصدر باسم (التقويم العربي الهاشمي)، واستمر التقويم بالصدور بالاسم الجديد حتى رحيل أحمد عبيد عام ١٩٨٩، فانفرط عقد الاتفاق وعاد كل تقويم إلى اسمه الأصلي.

وإضافة إلى كل هذه العطاءات الأدبية كان أحمد عبيد شاعراً مجيداً، أبدع مجموعة من القصائد، معظمها في الموضوع الأخلاقي والاجتماعي والوطني، جمعها في ديوان واحد حمل عنوان (في سبيل الأخلاق). ففي قصيدة له يؤكد أن الحق إذا لم تؤيده قوة تحميه وتعززه فهو باطل، وفي ذلك يقول:

ألا إنّ حقاً لم تؤيده قوة ... فذلك في شرع السياسة باطلُ
فلا تنبسط كفاك للحق طالباً ... إذا لم تُفجّر من يديك القنابلُ

وفي قصيدة أخرى يدعو إلى مكارم الأخلاق والتخلي عن الشر، فالخير خير زوادة للإنسان بعد رحيله، كما يقول:

تخلّ عن الشر واعمل لما ... يعود بخير إذا ما رحلتا
وَهَبْك بلغت السماء علاءً ... وأدركت كل الذي قد أملتَا
أليس قصارى الحياة انقطاعاً ... وأنك تجزى بما قد عملتا

بعد حياة مملوءة بالعطاء الأدبي رحل أحمد عبيد بتاريخ ١٣ آذار ١٩٨٩ عن سبعة وثمانين عاماً، أمضى معظمها في خدمة الفن والأدب والثقافة.

نقش سوري

إلياس قنصل (١٩١١م - ١٩٨١م) شاعر سوري مهجري

ولد إلياس قنصل في مدينة يبرود محافظة ريف دمشق ١٣ أبريل سنة ١٩١٤م وهو الشقيق الأكبر للشاعر زكي قنصل والتحق بمدارسها الابتدائية نحو سنتين وسافر مغترباً مع والده إلى البرازيل وبقي فيها أربع سنوات ثم انتقل إلى الأرجنتين. في عام ١٩٢٣ عاد إلى مسقط رأسه مع أهله ودخل المدرسة ثانية وبقي في بيرود حتى بداية عام ١٩٢٩ حيث سبق أهله وعاد إلى البرازيل، ولما وصل أهله إلى البرازيل واستقروا بها فترة بسيطة انتقلوا بعدها جميعاً إلى الأرجنتين وعمل تاجراً متجوّلاً (بالكشّة) وبدأ ينظم الشِّعْر ليلاً بعد انتهاء عمله النهاري.

نشرأعماله بالصحف مأجوراً، ثم تولّى رئاسة تحرير (الجريدة السورية اللبنانية) التي كان يصدرها موسى يوسف عزيزة وبقي مدة ثلاث سنوات، ثم أنشأ لحسابه مجلة سمّاها (المناهل) عاشت ثلاث سنوات (١٩٣٧ - ١٩٤٠). قد أسّس سنة ١٩٣٩ مع أخيه زكي محلاً تجارياً صغيراً في إحدى ضواحي بوينس آيرس. وكان إلياس يجيد الإسبانية والفرنسية وترجم عنهما الكثير، وبدأ يطبع كتاباته في كُتيّبات صغيرة متتابعة، فالديوان يلحق القصّة والقصة تتلو الرواية والرباعيات تنتشر هنا وهناك، وحتى الخمسينيات من القرن الماضي كان لا يزال نصف نتاجه مخطوطاً. في سبعينيات القرن الماضي كان له الفضل الأكبر بإقامة ندوات أدبية أسبوعية في بونس آيرس يقصدها الكثير من أدباء وشعراء الجالية العربية.

قام خلال سنة واحدة بزيارة العديد من البلدان العربية وقابل كبار الشعراء والأدباء فيها ونشرت مجلاتها وصحفها العديد من أعماله. وأخيراً فتح متجراً لبيع الخردة وأمّن لنفسه الاستقرار والاستقلال المالي. توفي إلياس قنصل في الأرجنتين حيث أخذه الموت إثر عملية جراحية غير ناجحة عاش بعدها خمسة عشر يوماً وتوفي في ٢٠ مارس ١٩٨١م.

كان شاعرنا صاحب مقدرة أدبية فذّة وشاعرية ملهمة بلغة متينة وذكاء شديد وروح مرحة ويُعتبر أخصب أديب عربي من أدباء المهجر الجنوبي، برع في فن الخطابة فكان يُثير الحماسة والإعجاب في كل حفل تكلّم فيه كما يُثير السخط والنقمة في صدور الأثرياء بحملاته الشعواء عليهم. لا نجد بشعره سوى القليل من الصور الشعرية، بينما آثاره النثرية كانت على عكس ذلك فيسيطر فيها على البيان ويُلْبِس المعاني ما شاء من الحلل والألوان ويُشغف القارئ برشاقة الأسلوب وأناقة التصوير وحارة الحوار وطرافة الحوادث والمفاجآت، ويخوض المعارك القلمية بجرأة نادرة ويُهاجم خصومه بالسَوْط بدلاً من مهاجمتهم بالحجّة.

مؤلّفاته الشعرية

ديوان على مذبح الوطنية، العبارات الملتهبة، الأسلاك الشائكة، نسمات الفجر، الرباعيات، السّهام.

مؤلّفاته النثرية

في الرواية: على ضفاف بردى
في القصة: صديقي أبو حسن
في النقد: أصنام الأدب
في النثر: البقايا

أوراق مبعثرة، وقصة دولة المجانين.

كما يفيدك ما تلقى من النوب
فاجمع نبالك فالدنيا مكافحة
والزهد يحمل ذل الخوف والهرب
في كل شيء إذا أمعنت فلسفة
هيهات تقرأها في أعظم الكُتب

ويقول الشاعر في قصيدة أخرى:

أسفت لصمته وله يراع
جميل بيانه سحر الجموعا
ولو أبصرت شدة ما يعاني
من الأيام أرخصت الدموعا
إذا سلم النبوغ من الرزايا
فكيف يطيب الفقر الوجيعا
وأغرب مشهد نصب ثمين
أقيم لعبقري مات جوعا

ويقول الشاعر:

إني لأحزن للمغرور تنفخه
من التكبر ريح ملؤها وضر
وليس يعجبني من كان متصفا
بالفضل عن فضله يغضي ويعتذر
اعرف مقامك يعرفه سواك ففي
إنصاف نفسك سفر العدل مختصر
إن التكبر مذموم ومحتقر
وفي التواضع وجه الضعف مستتر

دربٌ صغيرٌ بين الغيوم

بديع صقور

فوق بحر من غيوم، نشدُ الأحزمة...
نبحر في زرقة الكون..
ويشدني خيط آخر للسؤال:
- سريعاً نتلاشى كالغيم...
ننقرض كالديناصورات.. لماذا؟!
وأخيراً نصير إلى كمشة تراب؟!

× × ×

غيوم بيضاء..
ماذا تعني لك الأحلام، عندما ينبسط لك البحر
سهولاً خضراء بلا حدود؟!

× × ×

الثياب والأيام..
أشياء رثة..
تخيل هذه المستحاثات..
إذا كان لديك فائضٌ من الأحلام
فلا تتأخر عن عجن دقيق السماء
بمعجن رؤاك المنكسرة.

× × ×

إذا ما توقفت الطائرة الآن..
سأخرج إلى الفضاء وأسبح في بحر زرقته
مع أسراب السمك الطائر.

× × ×

بين غيمة ترفرف،
وأخرى تستعد للهبوط
تماماً.. أتذكر معالم صوتك
تماماً.. سأفتح درباً صغيراً لقدميك الصغيرتين
بين النجوم.

× × ×

في هذا الخراب الكوني، قد لا تعرفني!
قد تسحبني كخيط، وتغزلني على مغزلها!
قد نرتمي بين أحضان عناقيد السماء...
نغفو هناك، ويحلو لنا البقاء!
قد!.

× × ×

قبل أن نسوي ما كنا تقاعسنا عن فعله
فوق تلال القمر،
قد نسقط في موقدة السماء،
قبل أن ننجز ما كنا
سنقدم عليه!. قد!.
على حدود قبلة

على حدود قبلة نام القطا، فأيقظني
صوت «حذام»..
فتحتْ غطاء نعشه، فأطلّ وجهه البهي
قالتْ:
- كأنه لم يمتْ.. إنه يشبه زهرة غافية..
قطارات.. تتلوها قطارات،
والمفازات بعيدة...
فتحتْ باب النهار، قالت:
- فوق كرسيه العتيق رأيته غافياً كرضيع.

× × ×

يستحم الرمل بالملح والشمس
وتنسابُ حبات العرق فوق صدرها
يتلاشى الزبد فوق الحصى..
هذه النوارس يخبو نواحها
الماضي يورث جلبابه للخائبين.

× × ×

من يمتلك الريح، أنت، أم الملك؟
كلاكما ذؤابة مقصوصة..
ريشتان في جناح نسرٍ هوى صريعاً
تحت عتبات الريح.

× × ×

الطيور، مرتبكة وحائرة،
وخشية أن تضيع،
أبداً لا تغادر السماء.

× × ×

لو ترككَ حُراسُ الملك هائماً في سدرة نومك
لنام القطا.

هيرتا ميلر روائية المحرومين

مها محفوض محمد

لأنها أديبة المحرومين منحت نوبل العالمية للآداب وأشارت اللجنة التي منحتها الجائزة في حيثيات تقديم جائزة نوبل للآداب بأنها كاتبة عكست حياة المحرومين بتركيز لغة الشعر وصدق ووضوح لغة النثر.

وقال بيتر إنلجند السكرتير الدائم للأكاديمية السويدية، إنه تم تكريم السيدة مولر بسبب لغتها المتميز جدًا من ناحية، ومن ناحية أخرى بسبب أن لديها حقًا قصة ترويها عن نشأتها في ظل نظام ديكتاتوري.. وكذلك نشأتها كغريبة بين أهلها.

قال عنها ملك السويد : شكرًا أيتها العبقرية الفريدة من نوعها في كوكبنا رسالة إلى أهل عبر أقمار اصطناعية.

وفي زحمة السباق إلى نوبل، كانوا قلة الذين راهنوا على اسم هيرتا ميلر للوصول إلى الجائزة حينها..

هذه الكاتبة شبه المغمورة تأتي ضمن فريق أو صنف من الكتاب يتعذر عليهم مواجهة العمالقة مثل فيليب روث أو توماس باينكونوكانت هذه الكاتبة قد كوفئت وهي ألمانية من أصل روماني بجائزة نوبل للآداب لتصبح المرأة الثانية عشرة في الحصول على الجائزة الشهيرة بعد البريطانية دوريس ليسينغ عام ٢٠٠٧ والنمساوية الفريد جيلينغ عام ٢٠٠٤.

ومن الواضح أن أكاديمية نوبل تهتم جيداً بلغة غوته بوصولها إلى هذا الخيار، فقليل من كتب الروائية ميلر ترجمت إلى الإنكليزية أو السويدية، وفي فرنسا ثلاثة كتب فقط تمت ترجمتها إلى الفرنسية، ويعود الفضل في ذلك إلى دور النشر وحماسة المترجمين مثل نيكول باري وكلير أوليفيرا التي قدمت هيرتا ميلر في معرض الكتاب في بارس عام ٢٠٠١ والذي كانت ألمانيا ضيفة الشرف فيه.

ولدت هيرتا ميلر في ١٧ آب عام ١٩٥٣ في بلدة رومانية سكانها من الأقليات الرومانية التي تتكلم الألمانية. درست الأدبين الألماني والروماني في جامعة تيمشوارا وعملت للمرة الأولى كمترجمة في أحد المصانع لكنها لم تلبث طويلاً فقد طردت لرفضها التعامل مع الجهات الأمنية وإعطاء معلومات عن جماعتها بالتجسس على زملائها لحساب الشرطة السرية، وبذلك بدأت الكتابة تحت سلطة القمع، وأول مجموعة قصصية لها منعها النظام الروماني كانت (نيدورنغين) صدرت عام ١٩٨٢ ونشرت بالإنكليزية تحت اسم ناديرز ولم تنشر الرواية إلا بعد عامين بتهريبها إلى ألمانيا وفرنسا.

عانت الكاتبة كثيراً من نظام تشاوشيسكو ووضعت جميع أعمالها تحت مقص الرقابة الروائية واستمرت معارضتها حتى بعد نفيها هي وزوجها الأديب ريتشارد فاجنر إلى ألمانيا.

تقول: بقي الخوف يلازمني حتى في ألمانيا، كان علي أن أعيش لأكتب وليس العكس، أريد أن أعيش بمستوى أحلامي، الكتابة بالنسبة لي وسيلة لأعبر عما لم أستطع فعله.

في ألمانيا عملت بمهن مختلفة منها التدريس في رياض الأطفال وفي الدروس الخصوصية.

من أهم رواياتها التي ترجمت إلى الإنكليزية:« جواز السفر»، «أرض البرقوق»، «الترحال على قدم واحدة»«الموعد» حيث تعكس أعمالها أدق التفاصيل لحياة الناس اليومية الذين يعانون من النظم الديكتاتورية.

مؤلفاتها تجاوزت الخمسين بين الشعر والقصة والرواية منها: «منحدرات» «مسافرون على ساق واحدة»، «الوطن هو ما ننطق به»، الخ..

لكن أشهر رواياتها «جواز السفر» التي نشرت عام ١٩٨٦ في ألمانيا ومن ثم ترجمت عام ١٩٨٩ أيضا (الموعد) وفيها وصف لرعب امرأة لدى استدعائها من السلطات الأمنية. حصلت على العديد من الجوائز الأدبية منها: جائزة ليكاردا هوخ عام ١٩٨٧.

وجائزة ماري لويز فلا ينسر عام ١٩٨٩.

وجائزة دوبلن العالمية للآداب عن روايتها: «حيوان القلب» وجائزة فرانس كافكا.

كتابها الجديد سيظهر في العام ٢٠١٠ عن دار النشر غاليمار بعنوان «أرجوحة التنفس».

أديبة كرست حياتها وأعمالها للهم الإنساني وللجو الذي يعيشه وطنها وإخوانها، أدبها مضاد للنسيان ويميزه الوضوح والوعي ما يجعلها فعلاً تستحق الجائزة.

تقول ميلر:« من الغباء القول إن لكل كاتب لغته الخاصة، نتوحد جميعنا في الكتابة بلغة أولئك الذين لا يكتبون». المستشارة الألمانية آنجيلا ميركل وصفت أدبها بالراقي وقالت: شيء جميل أن يحظى هذا الأدب بتجاربه الحية وبعد عشرين عاماً من سقوط جدار برلين على جائزة نوبل.

من أعمالها

منخفضات (مجموعة قصصية) - سنة النشر: ١٩٨٤ ألمانيا (نشرت للمرة الأولى في رومانيا عام ١٩٨٢ بعد حذف العديد من الفقرات بها من قبل الرقابة الرومانية)

رواية (١٩٨٢) - سنة النشر ١٩٨٤

جواز السفر - سنة النشر ١٩٨٦

فبراير الحافي - سنة النشر ١٩٨٧

الترحال على ساق واحدة - سنة النشر ١٩٨٩

الشيطان منعكسًا في المرآة - سنة النشر ١٩٩١

الثعلب هو بالفعل الصياد - سنة النشر ١٩٩٢

البطاطا الساخنة هي السرير الدافئ - سنة النشر ١٩٩٢

الجوع والحرير (مقالات) - سنة النشر ١٩٩٥

الموعد - سنة النشر

الوهم

ندى يوسف

بإرادة مشلولة نسقط في
شرك الذاكرة، نعدو بكامل
لياقتنا
ونقفز فوق حبال الحنين
من فضائل الحياة علينا
اختراع الوهم
نبدد فيه كل بلاهتنا
ونغير الألوان التي لا تروقنا
الوهم المزعج للآخرين
جزء من حقيقتنا
عالمٌ لنا يشبهنا نشّيده من
ذواتنا
وفيض مشاعرنا ورغباتنا
ولولا وجوده لكانت هذه
الحياة قاسية
ملعب لممارسة البؤس والشقاء
الحقيقيون في زمننا معذبون
وصورهم تشوهات
يحتاجون مرآة سوداء عملاقة
لتعكس حجم الجروح في
أعماقهم

جبالنا أرواح

ليلى مصطفى

عامرة بالخيبات
تنزف دمعها الأحمر
بانفلات الريح
على امتداد
الأشجار المحروقة
السنديان الجريح
يلاقي حتفه
هي قرانا هناك
المشبوكة
بالأحلام
تلوح سفوحها
طلولها المخمرة
بعنبها المجروح
وقدره المملح
بالوجع يلاقي
انكساراته...
صرخنا وحيدين
بعيدين عن
كل الصدور
نحن-السوريين-
مازلنا نقاوم
بما تبقى في
العروق من
دم يسيل
لعلنا ننجو
من المحن
نقيد الريح
كي لا يحرقوا
البحر

٢

تبحر إلى مداه
شغف لايقبل
الخسارة
تسجد أمنياتها
على خاصرة
الاحتمالات
تهادن
مراكب الغياب
طيف له
ملامح وطن
تتنهد المدن
حالمة
منتشية باحتوائه
يضيء ثلج المكان
تتبدل الطقوس
تتغير حركة
الأفلاك
يداه تلامسان
دوخان دفئها
تسرق همسا
عذبا فوضاه
تستبيح الحرائق
في غفوته
وضجيج الكون
في عينيها
يرسم
ألف حياة

في درج قديم

رجاء علي

عثرت على نفسي
تعلقت نظراتي بها
وبعبث أنثى ناضجة
أعدت لها رطوبة المكان
وأغلقته بلاصق متين
سمعت صراخها
كانت تسجد أمام مذبح قلبي
تتلو صلوات غريبة
بكلمات لاتنتمي إلى لغة
تحدثت يوماً بها
نسيت أن أخبركم
إنني أتقن الكثير من اللغات
لغة الفراق
والمحبة والسوط والعطر والخيبة
وتعمقت كثيراً بدراسة لغة الجسد
فأنا أعرف الكثير من لمسة
ومن اتساع بؤبؤ العين
واستدارة الوجه
وحركات الفم
لم أشعر بصخب نفسي
وهي تحاول كسر أفقها
تركتها ربما تتخلص قليلاً
من ذكرى مؤلمة
وليل باهت سرقت فيه
قطعة صغيرة من نجمة
وربما عاد إليها توقد روحها
وعادت سنونو تنطلق
بجناحيها
تضوع عطرها
هدأت أجراس تمردها
ولاح لي من ثقب صغير
بعض نور
بل باقة نور
غطت مساحات جسد
خلا من وشوم مزهرة
وخلخال يترنح بموسيقا
تعبق بالأنوثة
استدارت تفاحات اللهفة
نضجت أغصان الطريق
وعلى ورق مصفر
كتبت قصيدة
رقصت على إيقاعها
أقفاص صدري المحطمة
امتدت كزهرة أصابعي
انتشلت نفسي
عطرتها ألبستها الفستان
الوحيد المعلق بخزانتي
وتركتها تجري في أروقة حديقة
لاورد فيها ولا أطفال يمرحون
ولا أصوات متشابكة لحديث
قديم جديد
هي أنا وأنا ألهو بخاصرتها
أقص شعر القصيدة
وأعيد تشكيل الجديلة
همساً أمرتها بالطاعة
وأمراً أفرغت فيها
كل عقد القصص القديمة